

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٣)	رمضان المبارك ١٤٣٢ ﻫ
العدد الثامن	أغسطس ٢٠١١ م

المشـرف العام: عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر: أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	صـوت الأمـــة بی ۱ / ۱۸ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التالیف والترجمة، ریوری تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١

المنشـــور لا يعبـــر إلا عـــن رأي كاتبـــه

محتويات العدد

الافتتاحية

المملكة العربية السعودية
ورعايتها للعلماء المسلمين في الداخل والخارج

(٦) أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

المبحث الثاني

رعاية المملكة لعلماء شبه القارة الهندية -على وجه الخصوص- ومظاهرها.

علاقة مسلمي شبه القارة الهندية بدولة التوحيد قديمة ووطيدة، وخاصة علاقة جماعة أهل الحديث منهم، فدعوة الإصلاح والتجديد التي قام بها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة العربية ودافع عنها أمراء آل سعود، تقارنها في المبادئ والأسس دعوة الإصلاح والتجديد التي قام بها العلامة الشاه محمد إسماعيل الدهلوي والشيخ السيد أحمد بن عرفان، والتي قد مهّد لها الشاه ولي الله الدهلوي وأبناؤه وأنصاره، وقد عرفت هذه الدعوة في شبه القارة الهندية باسم حركة أهل الحديث، وهي تحتفظ بتاريخ مشرق طويل في الوقوف بجانب دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وبجانب الدولة السعودية التي تحتضن هذه الدعوة.[١]

ولما تم توحيد الجزيرة العربية على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، واستتب الأمن، واستقرت الأمور، وجه الملك زمام عنايته إلى مسلمي الخارج، وبما أن عدد المسلمين في الهند أكبر من أي دولة أخرى بعد إندونيسيا، وكان لهم ثقلهم الديني والاجتماعي في العالم الإسلامي، فقد لقوا من عناية الملك عبدالعزيز حظا أكبر ونصيبا أوفر. وأكرم علماؤهم وقادتهم من الملك ودولته إكراما منقطع النظير. وقد واصل المسيرة أبناؤه البررة، واستمروا إلى يومنا هذا في رعاية علماء المسلمين عامة وعلماء شبه القارة الهندية خاصة.

وقد اتخذت رعايتهم هذه لعلماء الهند مظاهر وأشكالا متنوعة، نلقي الضوء -بإيجاز- على أهمها، وقبل ذلك نود إيراد بعض التفاصيل حول الأسرة الغزنوية وعلاقتها بالدولة السعودية.

الأسرة الغزنوية الهندية وعلاقتها بدولة التوحيد:

اشتهرت الأسرة الغزنوية ومدرستها وتلاميذها وأصحابها في الأوساط الدينية والعلمية لخدماتها لعلوم الكتاب والسنة وإحياء السنن ونشر العقيدة السلفية في شبه القارة

---

[١] يمكن الاطلاع على هذا التاريخ المشرق في كتاب: "علماء أهل الحديث في الهند وموقفهم من دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب والدولة السعودية" لمؤلفه الشيخ أبو المكرم عبدالجليل، رحمه الله، أحد خريجي الجامعة السلفية بالهند.

الهندية، وعلماء هذه الأسرة معظمهم من أولاد وأحفاد الشيخ عبد الله الغزنوي (م سنة ١٢٩٨هـ) الذي تخرج على المحدث السيد نذير حسين الدهلوي، واشتغل بالدرس والإفادة ونشر السنة وإحيائها ودحض البدع والخرافات في ولاية فنجاب، ونفع الله به خلقا كثيرا لا يأتي عليه الإحصاء.

كانت هذه الأسرة موضع عناية أمراء آل سعود وملوكها من قبل توحيد البلاد، حيث إن الشيخ عبد الرحيم (م سنة ١٣٤٢هـ) والشيخ عبد الواحد (م سنة ١٣٤٩هـ) وهما من أبناء الشيخ عبد الله الغزنوي كانا يشتغلان في تجارة الأكسية الشتوية الكشميرية، وكانا يسافران إلى البلاد العربية لأغراض التجارة، وفي أحد أسفارهما إلى دولة الكويت اتفق لهما لقاء مع الملك عبد العزيز ووالده الأمير عبد الرحمن آل فيصل رحمهم الله، وكان الأمير عبد الرحمن يسكن مع أسرته في منفاه عند تسلط ابن رشيد على نجد، وقد لمس الملك عبد العزيز ووالده الأمير عبد الرحمن خلال هذا اللقاء في العالمين المذكورين العلم والعمل والورع والتقوى وسلامة العقيدة، وتأثر بهما كثيرا، ودرسا عليهما بعض كتب التفسير والحديث. هكذا كانت بداية العلاقة بين الأسرة الغزنوية والأسرة السعودية الملكية.

وبعد فترة من الزمن لما تم للملك عبد العزيز فتح نجد واستتباب الأمن في المنطقة أقام الأخوان في مدينة الرياض خمس سنوات على طلب الأمير عبد الرحمن آل سعود، وتصدرا للتدريس، فتتلمذ عليهما عدد كبير من آل سعود وأصحاب نجد.

ولما تسنى للملك عبد العزيز ورجاله -بحمد الله وتوفيقه- فتح الحجاز أيضا، عين الملك عبد العزيز الشيخ محمد إسماعيل الغزنوي (م سنة ١٣٨٠هـ) ابن الشيخ عبد الواحد الغزنوي ممثلا لحجاج الهند، وكان الشيخ محمد إسماعيل قد شارك في مؤتمر الحجاز مع والده الشيخ محمد عبد الواحد عام ١٣٤٤هـ. وكان يزور بلاد الحرمين سنويا بصفته مشرفا على حجاج الهند، وكان الملك يدنيه إليه ويكرمه، وللشيخ محمد اسماعيل عدة رسائل في تفنيد المزاعم والتهم التي كانت قد ألصقت بالدولة السعودية الفتية زورا وبهتانا. ويذكر أن أحد أبناء الشيخ محمد اسماعيل كان قد أسند إليه منصب كبير في الدولة.[1]

---

[1] راجع: تاريخ أهل الحديث، للشيخ محمد إبراهيم مير السيالكوتي. ص: ٤٤٨.
وجهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة، ص: ١٠٦ وما بعده. ومجلة نور توحيد، نيبال: أغسطس ٢٠٠٥م ص: ١٤-١٥.
وعلماء أهل الحديث في الهند وموقفهم من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية. ص: ٥٥، ٥٦، ٩٣-٩٩.
ودعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة، للشيخ صلاح الدين مقبول أحمد، كلمة الناشر، ص: ٣٢-٣٤.

ومن كبار علماء الأسرة الغزنوية:

الشيخ العلامة محمد داود ابن العلامة عبد الجبار ابن الإمام عبد الله الغزنوي (م سنة ١٣٨٣هـ)

تتلمذ على العلامة عبد الله الغازيفوري الذي كان من أخص تلامذة السيد نذير حسين الدهلوي، كما درس على غيره من العلماء المشاهير، ثم عكف على التدريس والإفادة، وخدم السنة والسلفية، بكتبه وخطبه ومقالاته. وقام بجهود مشكورة في التعريف بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدفاع عنها وعن أتباعها. وكان موضع الثقة والتقدير لدى حكومة المملكة وقادتها كغيره من العلماء الغزنويين.

فلما زار الملك سعود بن عبد العزيز دولة باكستان في ابريل ١٩٥٤م ذهب الشيخ محمد داود مع بعض رفاقه إلى مطار كراتشى للترحيب بالملك سعود والسلام عليه، ولما وصل الملك إلى مدينة لاهور حيث يقيم الشيخ داود قام بزيارته وتحدث معه لفترة غير وجيزة.

وفي مايو عام ١٩٦٢م أخبر الملك سعود الشيخ محمد داود عن طريق سفيره فى باكستان أنه بصفته رئيسا أعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – قام باختيار فضيلته عضوا للمجلس الاستشاري للجامعة، و أفاد أيضا بأن حفل افتتاح الجامعة سينعقد في ٢٠/ذي الحجة ١٣٨١هـ المصادف ٢٥/مايو ١٩٦٢م وأبدى رغبته في أن يحضر الشيخ إلى المملكة في وقت يتمكن فيه من أداء فريضة الحج أيضا، فلبى الشيخ دعوة الملك وغادر كراتشي متجها إلى الحجاز في ٩/مايو ١٩٦٢، وكان عودته إلى باكستان فى ١٥ يونيو ١٩٦٢م.[1]

وقد شارك الشيخ في هذا السفر في اجتماع رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة أيضا، وكان أحد معارفه وهو الدكتور أسرار أحمد من باكستان صاحبه فى الاجتماع بأمر منه، وقد أفاد الدكتور في إحدى كتاباته أنه فى أحد اجتماعات الرابطة الذى ألقى فيه الملك سعود أيضا كلمته، شاهد الدكتور أنه في أثناء وقفة تعارف الضيوف مع الملك أبدى الملك حفاوة بالغة وعاطفة زائدة عند مقابلة الشيخ محمد داود، وذلك بسب العلامة القديمة بين الأسرة الغزنوية وآل سعود.[2]

والآن نأتي إلى ذكر بعض مظاهر رعاية المملكة لعلماء شبه القارة الهندية.

---

[1] نقوش عظمت رفته، للشيخ محمد اسحاق البهتي، ص:٦٧.

[2] جريدة الاعتصام الأسبوعية الأردية، لاهور: ١٧/مارس ١٩٦٧م ص: ٨-٩.

(أ) توجيه الرسائل إليهم وتشجيعهم على استمساكهم بالكتاب والسنة:

يحتفظ تاريخ أهل الحديث بالهند بتلك الرسائل والمكاتيب التي وجهها الملك عبدالعزيز رحمه الله وأبناؤه الأوفياء إلى جماعتهم وعلمائهم، ومعظم هذه الرسائل منشورة في مجلات الجماعة وجرائدها مصورة-في الغالب-بالخط الذي تلقوها به. وفيما يلي نص بعض هذه الرسائل:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية وملحقاتها

عدد (٧١٩) ٨/ربيع الآخر ١٣٤٤هـ

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود، إلى حضرة المختص الأخ الفاضل رئيس جمعية أهل الحديث في الهند سلمهم الله تعالى. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

فإني أرجو لكم التوفيق في أعمالكم المجيدة التي أعادت للدين الإسلامي وللشعب الهندي مجدها التاريخي، وإني مملوء ثقة أنه بتعاوننا على الخير سيكون المستقبل السعيد لجميع الشعوب الإسلامية....(ثم هناك شرح لأحوال الحجاز وعقد المؤتمر ثم توجيه الدعوة إلى علماء الهند بقوله:)...وسيضم لهؤلاء ثلاثة مندوبين من جمعية الخلافة وجماعة أهل الحديث وجمعية العلماء في الهند، هذا ما نويناه لهذه البلاد وما سنشهر عليه في المستقبل إن شاء الله تعالى، وإن لنا الأمل العظيم في أن تسرعوا في إرسال مندوبكم وإخبارنا عن الوقت المناسب لعقد هذا المؤتمر، هذا ما لزم بيانه، وفي الختام تقبلوا ما يليق من التحية والاحترام. (الختم) [١]

ولما تم فتح الحجاز على يد رجال الملك عبد العزيز أبدى مسلمو الهند وخاصة أهل الحديث منهم فرحهم وارتياحهم بذلك. ووجهوا رسائل التهنئة والتبريك إلى الملك. من ذلك رسالة منسوبي مدرسة دارالحديث الرحمانية في دهلي، وقد جاء الرد عليها من جانب الملك عبدالعزيز بالكلمات التالية:

"نشكركم وجميع إخوان دارالحديث الرحمانية على حسن ظنكم ومحبتكم الخالصة".

ملك الحجاز، السلطان عبدالعزيز. [٢]

---

[١] جريدة أهل الحديث أمرتسر الأسبوعية: ١٤/رجب ١٣٤٤هـ. ص: ٩.

[٢] المرجع نفسه: ٥/شعبان ١٣٤٤هـ. ص: ١٣.

وفي رسالة له إلى الشيخ محمد الدين الدهلوي يبدي الملك عبد العزيز محبته لأفراد أهل الحديث بهذه الكلمات:

"شفقة إخواننا أهل الحديث هذا مما لانشك فيه، وفقنا الله وإياهم لما فيه خير الدين والدنيا والثبات على الحق ونصر أهله، والرجاء إبلاغهم أزكى تحياتنا." [١]

والرسالة التالية من الرسائل التي وجهها الملك عبد العزيز إلى الشيخ أبي الوفاء ثناء الله الأمرتسري (م سنة ١٣٦٧هـ) مدير جريدة أهل الحديث بأمرتسر، والأمين العام لمؤتمر أهل الحديث آنذاك (جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند) والمؤلف والمناظر: [٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

عدد (٨٦٢)

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى الأخ المكرم أبو الوفاء ثناء الله حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فقد وصل كتابكم والحمدلله على نصرة الحق، أما مسألة الأموات ونشر أسمائهم فهذه ينظر فيها حسب الممكن والمصلحة إن شاء الله تعالى، وأما ما ذكرتم من موضوع الخلاف الواقع بينكم فهذا والله يؤلمنا، ولا نريد إلا اجتماع الكلمة على طريقة السلف الصالح في سائر الأمور، ويهمنا جدا أن لا يقع شقاق بين فرقة صبروا وصابروا في الانتساب للحديث وأهله، ونرى أن أحسن طريقة لحل هذه الأشكال أن تعزموا على الحج في هذا العام، ونعقد اجتماعا للمذاكرة في الموضوع المختلف فيه فيحل الاشكال إن شاء الله تعالى، فتزول التفرقة التي لا نريدها، وليست من صالح الإسلام والمسلمين، نسأل الله التوفيق والهداية للطريق القويم، والله يحفظكم.

والسلام (الختم)

٢٢ ربيع٢، ١٣٤٦هـ. [٣]

والرسالة التالية مناسبتها أن العالم الهندي الشيخ أبو المرتضى عصمت الله بن محمد إسماعيل الرحماني المئوي، الأديب الشاعر (م سنة ١٣٩٧هـ) قد أنشأ قصيدة (في ٤٥ بيتا) باللغة

---

[١] جريدة "أخبار محمدى" النصف شهرية: غرة ابريل ١٩٢٧م. ص:٦.

[٢] للشيخ الأمرتسري مواقف مشرفة تجاه الدولة السعودية والدفاع عنها، راجع لتفصيل ذلك:

١- العلامة أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري ودفاعه عن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب وانتصاره للملك عبد العزيز، للدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائى.

٢- علماء أهل الحديث في الهند وموقفهم من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية، للشيخ أبو المكرم عبد الجليل.

[٣] جريدة أهل الحديث، أمرتسر الأسبوعية: ٢١/شوال ١٣٤٦هـ ص:١٠-١١.

العربية عند ما قام الملک عبد العزيز بن عبد الرحمن بفتح الحجاز.يقول الشيخ في أول القصيدة:

إلـه العـالمين لـک الثـنـاء	إليک إنابـة وبک اهتـداء
مليک أنت يـا مولاي حقـا	فتفعـل ماتريـد وماتشـاء
وتسمع قول من يدعوک سـرا	لديک الجهر والإخفاسواء

ويقول فيهاعندذكر الملک عبدالعزيز:

ألا منهم إمام الرشد عبدالـ	ـعزيز اليـوم ليس له كفاء
فخلد ملكه يا رب دهرا	بحسن النظم ما دام السماء[1]

تم نشر القصيدة في جريدة أهل الحديث بأمرتسر في ٢٥/رمضان ١٣٤٧هـ كما أرسلت القصيدة إلى مقام الملک، فجاء الرد باسم الشيخ من رئيس الديوان الخاص كالآتي:

"إلى جناب الأخ المكرم أبي المرتضى محمد عصمت الله بن الحاج اسماعيل المئوي المدرس في المدرسة "فيض عام" سلمه الله، وبعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم كتابكم لجلالة مولاي الملک، المؤرخ ١٠/شوال ١٣٤٧هـ وصل واطلع عليه وعلى القصيدة المرقومة معه، وأمرني أن أبلغكم أنه مسرور من قصيدتكم المحتوية على المعاني الثمينة والشعور الخالص. دمتم موفقين لما فيه الخير والسداد. هذا ما لزم بيانه، والله يحفظكم. والسلام.

رئيس الديوان الخاص."[2]

والرسالة المذكورة أدناه من الرسائل الموجهة من الملک عبد العزيز إلى أهل الحديث بالهند:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل السعود إلى كافة إخواننا أهل الحديث- حفظهم الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد

فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. وأصلي وأسلم على خير أنبيائه. وأسأله تعالى لنا ولكم التوفيق لما يحبه ويرضاه.

---

[1] انظر القصيدة كاملة في المرجع السابق: ٢٥/شعبان ١٣٤٧هـ، ص: ١٩.

[2] هندوپاک میں عربی ادب، للشيخ إقبال احمد كفايت الله. ص: ١٢٨-١٢٩، ومجلة محدث الشهرية، بنارس، مارس ٢٠٠٣م ص: ٣٦-٣٧.

تعلمون- حفظكم الله- أن التواصي بالحق والصبر من خصائص المؤمنين، وتعلمون أن الله سبحانه وصف المؤمنين بأنهم رحماء بينهم، وإن حرصنا على جمع كلمتكم لإعلان شأن التوحيد في سائر الآفاق هو الذي يدعونا للكتابة لكم، وإنه ليؤلمنا أن نرى في جماعتكم أي خور أو ضعف، كما أنه يؤلمنا أن يصيبكم أي أذى بأي سبب من الأسباب، وقد رأينا من تتبع أخباركم أن غيركم من الفرق جمعوا كلمتهم ونظموا صفوفهم، للذود عن مصالحهم، وأنتم غير مبالين في جمع كلمتكم لحفظ شأن جماعتكم، لهذا أدعوكم للم شمل جماعتكم، وأدعو قادة الرأي منكم للاجتماع والعمل لما فيه نشر التوحيد، والمثابرة على العمل في هذا السبيل، الذي يعظم الله فيه الأجر، ليكون بذلك الحسنى من صلاح الدنيا والدين. وإن اجتماع كلمة الناس وتفرق كلمتكم فيه الوهن لصفوفكم والحط من مقام جماعتكم، وهذا ما نرجو أن لا يكون بينكم، وأسأل الله لكم التوفيق في كل ما يعلي شأنه ويرضي وجهه الكريم.

(حرر في ٤/رجب الفرد سنة ١٣٥٠هـ) (الختم)[١]

وهناك رسالة للملك عبد العزيز موجهة إلى العالم الهندي الشيخ عبد الحي الحيدر آبادي[٢] جاء ذكرها في التقرير الذي نشرته جريدة أهل الحديث أمرتسر الأسبوعية، ملخصه أن الملك عبد العزيز أكرم العالم المذكور حيث أرسل له معونة شهرية وخلع عليه خلعة ملكية وبرفقهما رسالته الكريمة.[٣] وعند وصول هذه الهدايا الملكية الغالية عقد مسلمو المنطقة حفلا في مدينة كرنول في غرة شهر ابريل عام ١٩٢٨م، تحدث فيه أهل العلم عن مآثر الدولة السعودية الحديثة ومكارم الملك عبد العزيز، وقرئ خطاب الملك على مسامع الحضور، وعددهم نحو ألفين، وتم إلباس الشيخ الحيدر آبادي الحلة الملكية. ووافق الاجتماع على توجيه خطاب الشكر والتقدير إلى الملك رحمه الله، ودعا له ولحكومته بالتوفيق والسداد.[٤]

ولما وجهت جمعية أهل الحديث رسالة إلى الملك سعود بن عبد العزيز لرعاية حفل تأسيس الجامعة السلفية جاء رد الملك سعود إلى رئيس الجمعية كالتالي:

رئيس مؤتمر أهل الحديث بالهند، بواسطة حاجي على جان صاحب دهلي

وصلنا كتابكم المؤرخ ١٩٦٣/١١/٦م وأحطنا بما ذكرتم من العزم على تأسيس جامعة سلفية، ورغبتكم مشاركتنا بحضور حفلة التأسيس، إننا مع شكرنا لجهود أهل الحديث في

---

[١] جريدة أهل الحديث، أمرتسر الأسبوعية: ٨/شعبان ١٣٥٠هـ ص: ١٣.

[٢] لم أطلع على ترجمة الشيخ في المظان المحتملة.

[٣] لم يذكر التقرير نص الرسالة.

[٤] راجع: جريدة أهل الحديث، أمرتسر الأسبوعية: ٢٨/شوال ١٩٢٨م ص: ١٤.

المجال الإسلامي وتمنياتنا لهم بالتوفيق الدائم نود أن نعلمكم بأننا قد أبرقنا سفيرنا بالهند بما يلتزم لخصوص طلبكم، راجين أن تكلل جهودكم بالنجاح.

سعود

١٣٨٣/٧/٨هـ=١٩٦٣/١١/٢٤م[1]

وبعد ما تم بناء بعض الفصول والمكاتب وحان موعد افتتاح الدراسة بالجامعة السلفية- عام ١٣٨٥هـ=١٩٦٦م-

وجهت الجمعية دعوة إلى الملك فيصل بن عبد العزيز لرعاية حفل الافتتاح، فوجه الملك فيصل الخطاب التالي إلى رئيس الجمعية:

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية التاريخ:٨٥/١٠/٢٠هـ

الديوان الملكي

المكتب الخاص

حضرة المكرم الأستاذ عبد الوهاب آروي

رئيس مؤتمر أهل الحديث في الهند

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تلقينا رسالتكم المؤرخة في:١٩٦٦/٢/٧م شاكرين لكم كريم مشاعركم، مقدرين روحكم الإسلامية الطيبة، آسفين لعدم تمكننا من حضور حفل افتتاح جامعة دار العلوم المركزية التي أنشاها المؤتمر، كما وأن المسؤولين لدينا كذلك لا يتمكنون من الحضور، نظرا إلى أن تاريخ افتتاحها وهو يوم ١٨/مارس١٩٦٦م يصادف موسم الحج السنوي الذي يكون الجميع فيه مشغولين بأمر الحج والحجيج، فنرجو المعذرة. متمنين لكم الصحة والسعادة والتوفيق، وللجامعة الازدهار والتقدم، والله يحفظكم.

فيصل[2]

هذه نماذج من رسائل مؤسس البلاد وأبنائه البررة إلى علماء شبه القارة الهندية، ولا أرى أنها تحتاج إلى أي تعليق، وإنما هي في غاية من الصراحة والوضوح للدلالة على مدى الشفقة والحنان والعناية والاهتمام من قبل هؤلاء القادة لعلماء هذه البلاد. (يتبع)

***

---

[1] جريدة ترجمان النصف شهرية١-١٥/يناير١٩٦٤م ص:٣٦.

[2] جريدة ترجمان النصف شهرية، عدد خاص بافتتاح الجامعة السلفية، ١٩٦٦/١٢/١٥م ص:٢٥.

أعلام الإسلام

رجال صدقوا: يوسف بن تاشفين

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

تاريخ الإسلام زاخر بأعمال الرجال الذين أدوا أدوارا مشرقة في المسيرة لنشر الإسلام، والدفاع عن حوزته، وأشرقت صفحات أعمالهم ببطولات مكّنت دور الإسلام في إسعاد البشرية.

ومن أولئك الرجال الذين تركوا بصمات خالدة، ومكانة وسمعة، وأثبتوا في عملهم بطولات شهد بها التاريخ:

القائد المظفر يوسف بن تاشفين بطل "الزلاقة" تلك الموقعة التي أخرت سقوط الأندلس وبعثت الروح في الدويلات المتناحرة ولقد حرصتُ أن أحظى بزيارة مدينته الصحراوية التي شيدها لتكون قاعدة انطلاق للجهاد بعيدة عن البحر، مثلما بنى قبله عقبة بن نافع، في آخر القرن الأول الهجري، مدينة القيروان في الصحراء التونسية لتكون مركزا إسلاميا لنشر دين الله، فصارت مراكش مقترنة باسم يوسف، لهدف جهادي رسمه، والقيروان مقترن ذكرها بعقبة بن نافع الفهريّ.

وكل منهما كان هدفه التصدي للنصارى، وأن تكون مدينته بعيدة عن البحر الذي تجوبه سفن البيزنطيين والرومان من جانب، وسهولة المدد من ديار الإسلام. وهذا فيه اهتمام بالبيئة، وأثرها في القدرة القتالية وسهولة المدد، والكر والفر.

لكن هناك فارق وجداني بين الطرفين: فالمسلمون يرجون نصرة الإسلام، اجتهادا واحتسابا، مالا يرجوه غيرهم.

زُرت مراكش التي تبعد عن الدار البيضاء بالمغرب الأقصى ٤٠٠كم تقريبا في فصل الشتاء بشمسها المشرقة، وفي القصبة وطابعها القديم، وممراتها الضيقة يسبح الخيال، مع تذكر التاريخ، واستيحاء المواقف، والسبب الذي جعل القائد الشجاع يوسف بن تاشفين يختار

هذا المكان للمدينة —مراكش— الذي اقترن اسمها باسمه، وأطلق اسمها عند الغربيين على مملكة المغرب كلها. فقد أصبحت الآن مشتى للغربيين يتمتعون بشمسها ونظارتها، وهكذا القيروان لكنها عند الزائر العربي المسلم، يجدهما انطباعا تاريخيا، وقاعدة بطولية في إرساء مكانة الإسلام، حيث أرادهما المسلمون: من فكرة البناء والتأسيس، منطلقا خالدا، وسجلا إسلاميا في صفحات التاريخ لنشر دين الله، والدفاع عن حوزة الإسلام، بالمرابطة والانطلاق.

ولد يوسف بن تاشفين الصنهاجي الحميري في عام ٤١٠هـ في الصحراء وينسب إلى قبيلة حِميَر اليمانية التي ذكر ابن خلدون عنهم بأنهم من عرب اليمن الذين نزحوا بعد انفجار "سد مأرب" وتفرق الناس "أيادى سبأ" وعليهم قام هذا المثل. ومنهم الأوس والخزرج، والمناذرة والغساسنة والدواسر، وكل هؤلاء من قبائل سبأ الذين خبرهم في سورة من القرآن.

أما حِميَر فعبروا إلى إفريقيا، ثم الشمال الإفريقي وانتشروا، يقول ابن خلدون: إن القبائل العربية لما وصلوا الشمال الإفريقي مع الفتوحات الإسلامية بقيادة عقبة بن نافع وجدوا أغلب السكان قد اختلفت ألسنتهم بالعجمة، فلم يعرف المسلمون لغتهم، فقالوا: ما أكثر بربرتهم فسمّوا من ذلك الوقت بـ"البربر".

ويوسف بن تاشفين الذي عاش ٩٠ سنة في حياة حافلة لصالح الإسلام والمسلمين وخاض أكبر معاركه مع النصارى "الزلاجة" ذكر الزركلي في هامش كتابه الأعلام: أن ترجمته جاءت في ١٧ مصدرا، وسماه أمير المسلمين، ومِلِكَ الملثّمين وسلطان المغرب الأقصى، وأول من دُعي بأمير المسلمين. وكانت ولادته وقبيلته بالصحراء وفيها تأثر بطبيعتها والإقدام.

أما ابن خِلّكان في كتابه: وفيات الأعيان فقال: كان رجلا شجاعا، عادلا مقداما، فكان ملوك الأندلس يفيئون إلى ظل يوسف، ويحذرونه على ممالكهم، لِما علموا أنه هيأ نفسه وجيشه ليحاربهم، فخافوه وكتبوا إليه كتابا، لمّا علموا أنه قاصدهم قالوا فيه: أما بعد فإنك إن أعرضت عنا، نُسبتَ إلى كرم، ولم تنسب إلى عجز، وإن أجبنا داعيك، نسبنا إلى عقل، ولم نُنسب إلى وَهن، وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نِسبتينا، فاختر لنفسك أكرم نَسبتَيك، فإنك

بالمحل الذي لا يجب أن تسبق فيه إلى مكرمة، وإن في استبقائك ذوي البيوت ما شئت من دوام لأمرك والثبوت، والسلام.

فلما جاءه الكتاب مع تحف وهدايا، وكان يوسف بن تاشفين، لا يعرف اللسان العربي والمرابطية، فقال له كاتبه.

أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الأندلس، يعظمونك فيه، ويعرّفوك أنهم أهل دعوتك، وتحت طاعتك، ويلتمسون منك ألا تجعلهم في منزلة الأعادي، فإنهم مسلمون، وهم من ذوي البيوتات، فلا تغتر بهم، وكفى بهم من ورائهم، من الأعداء والكفار، وبلدهم ضيق لا يحتملون العساكر، فأعرض عنهم، إعراضك عمن أطاعك من أهل المغرب .. فآنس من هذا الكتاب الهدوء، وتحكيم العقل، وكان كاتبه حليما فطنا.

فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه: فما ترى أنت؟ فقال: أيها الملك اعلم أن تاج الملك، وبهجته وشاهده الذين لا يرد بابه، خليق بما حصل في يده من الملك، أن يعفو ما دام قد: استُعفي، وأن يَهَب إذا استوهب، وكلما وهب جزيلا، كان أعظم لقدره، فإذا عظُم قدره، تأصّل ملكه، وإذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته، وإذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس، ولم يتجشم المشقة إليهم، وكان وارث الملك من غير إهلاك لآخرته، واعلم أن بعض الملوك الأكابر، والحُكماء البصراء، بطريق تحصيل الملك، قالوا: من جَادَ سَادَ، ومن ساد قاد، ومن قاد ملك البلاد. فلما ألقى الكاتب هذا الكلام إلى يوسف بن تاشفين بلغته فَهِمَهُ وعَلِمَ أنه صحيح. فقال للكاتب: أجب القوم، واكتب بما في ذلك واقرأ عليّ الكتاب.

فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، من يوسف بن تاشفين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية من سالمكم، وسلّم إليكم، وحكّمه التأييد والنّصر، فيما حكم عليكم، وإنكم مما بأيديكم من الملك، في أوسع إباحة، مخصوصون منا بأكرم إيثار وسماحة، فاستديموا وفاءنا بوفائكم، واستعلموا إخاءنا بإصلاح إخائكم، والله سبحانه ولي التوفيق والسلام.

فلما فرغ من كتابه، قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه، فاستحسنه، وقرن به يوسف بن تاشفين، وأنفذه إليهم، فلما وصلهم كتابه أحبوه، وعظّموه وفرحوا بولايته، ملك المغرب،

وتقوّت نفوسهم على دفع الإفرنج، وأزمعوا إن رأوا من ملك الإفرنج، ما يريبهم أن يجيزوا إليه يوسف بن تاشفين، ويكونوا من أعوانه، على ملك الإفرنج.

فحصّل ليوسف بن تاشفين، برأي وزيره ما أراد من محبة أهل الأندلس، من المسلّمين له، وكفاه الحرب لهم (وفيات الأعيان لابن خلّكان ج ٧ ص ١١٤–١١٥). وقد توسع كما توسع الدكتور السيد عبد العزيز سالم في كتابه المغرب عن يوسف هذا لراغب الفائدة، حيث لا يحتمل الحيز البسط، ج٢).

وفي وقته كانت حالة أمراء الطوائف سيئة يأخذ النصارى عليهم الجزية، فعزموا على الاستنجاد بيوسف بن تاشفين، فلما علم النصارى ذلك، بعث أمير النصارى "أدفونش" رسالة إلى يوسف بن تاشفين، أما بعد: فإنك اليوم أمير المسلمين، ببلاد المغرب وسلطانهم، وأهل الأندلس قد ضعفوا عن مقاومتي ومقابلتي، وقد أذللتهم بأخذ الجزية، وبالقتل والأسر، والذل والقهر، وأنا لا أقنع إلا بأخذ البلاد كلها.

إلى آخر رسالته التي جاء فيها، الاستخفاف بيوسف بن تاشفين، والاعتداد بقوته، فلما وصله الكتاب أمر أن يكتب على ظهره: من أمير المسلمين "يوسف" إلى "أدفونش": أما بعد فإن الجواب ما تراه بعينك، لا ما تسمعه بأذنك والسلام على من اتبع الهدى.. ثم استعان بالله.

وزحف إليه واجتاز البحر، وانضمّت إليه قوات المرابطين وغيرهم، وتزاحف الفريقان، حيث قامت المعركة الكبرى الحاسمة في "سهل الزلاقة" بين جيوش الإسلام والمسيحية، فانهزمت النصارى عند أول لقاء ودارت عليهم الدوائر، في ليلة ١٢ رجب عام ٤٧٩هـ، فجرح "ألفونسو" جرحا بليغا، ففرّ مع بعض رجاله في جنح الظلام – وهو ملك قشتاله، ومعه ٥٠٠ فارس من جنوده، وترك عشرين ألف مقاتل، من رجاله مقتولين في ساحة الحرب. وانتهت المعركة الحاسمة، بنصر الله للمسلمين، حيث قويت عزيمتهم بهذا النصر، الذي ثبّت الله به أقدام المسلمين، كما كان أثر هذه المعركة عظيما، في الأندلس وعادت المهابة للإسلام.

وقد كان لانتهاء المعركة بنصر المسلمين، والهزيمة النكراء للنصارى، دور كبير كدور انتصار صلاح الدين الأيوبي عليهم، في ديار الشام، بموقعة حطين.. ولهذا الانتصار في "الزلاقة" بالأندلس على يد البطل يوسف بن تاشفين في موقعة "الزلاقة" عدة نتائج منها:

الاستيلاء على الأندلس، و—إسقاط ملوك الطوائف. و—تقوية عزائم المسلمين بعد الوهن الذي أصابهم.

وكان يوسف يقول بعدما حقق الله له النصر: إنما كان غرضنا في ملك هذه الجزيرة أن نستنقذها من أيدي الروم، لما رأينا استيلاءهم على أكثرها، وغفلة ملوك الطوائف من المسلمين، وإهمالهم للغزو في سبيل الله، وتخاذلهم وإيثارهم الراحة.

وإنما همّ الواحد منهم كأسا يشربها، وقينة تُسمِعه، ولهوا يقطع به أيامه، وتركهم الجهاد، ولئن عِشت لأعيدن جميع البلاد التي يملكها الروم، إلى المسلمين، ولأملأنها عليهم خيلا ورجالا، لا عهد لهم بالدعة، ولا علم عندهم برخاء العيش، وإنما هم أحدهم فرس يروّضه، ويستفرهه أو صريخ يلبّي دعوته.

فرحم الله هذا القائد الفذ فقد مات عام ٥٠٠هـ بعدما أدّب بعض ملوك الطوائف، وسجن المعتمد بن عباد، فانصاع له أمراء الأندلس، وبثّ الجيوش التي أظهرت النكاية في القشتاليين، والدفاع عن الثغور الإسلامية ويوسف بن تاشفين، قد رجع للمغرب، وأصبح يمد ملوك الأندلس بالجيوش والخيول بفرسانها، واستمر في حروبه، ووطّد الأمن في مملكته، وأسند الأمر لولده من عام ٤٩٥هـ أي قبل وفاته بخمس سنين واسمه "علي" وأوصاه بالإحسان إلى الرعية، والعناية بحماة الثغور، فلقد ترك أثرا وذكريات إسلامية، توسع في ذكرها والإشادة ببطولته، التي سجلها له المؤرخون وأرهبت القشتاليين وغيرهم، وأوقفت زحفهم على ممالك المسلمين فترة من الزمن، وأيقظت مهابة الإسلام لدى الروم.

***

رسالة عاجلة إلى من أدرك رمضان

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان سيد الشهور، وضاعف فيه الحسنات والأجور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها الفوز بدار القرار والسرور. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف آمر ومأمور، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم إلى يوم البعث والنشور.

أما بعد:

أخي المسلم يا من أدرك رمضان! ما هي إلا أيام قلائل، حتى تكتمل دورة الفلك، ويشرق على الدنيا هلال شهر رمضان المبارك، الذي تهفو إليه نفوس المؤمنين، وتتطلع شوقا لبلوغه، لتنتظم في جامعته الكبرى التي تفتح أبوابها في كل عام، لتستقبل أفواج الصائمين من كل أرجاء المعمورة. سنستقبل رمضان بعد أيام ليعيد للقلوب صفاءها، وللنفوس إشراقها، وللضمائر نقاءها. بعد ما تكدرت بفتن الحياة وزحام الدنيا، وتلوثت بالنزوات العابرة والشهوات العارمة فجاء رمضان ليبعثها من رقاد ويوقظها من سبات. عجبا !!! كنا بالأمس نودع شهر رمضان الماضي، وكأن صفحاته قد طويت قبل أيام، واليوم نستقبله أنا وأنت والمسلمون بعد مرور عام!

عام مضى ذهبت لذته، وبقيت تبعته، نسيت أفراحه وأتراحه، وبقيت حسناته وسيئاته.

نعم أخي المسلم! ستنقضي الدنيا بأفراحها وأحزانها، وتنتهي الأعمار على طولها وقصرها، ويعود الناس —وأنت منهم— إلى ربهم بعد ما أمضوا فترة الامتحان على ظهر الأرض {كما بدأكم تعودون، فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة} (الأعراف: ٢٩—٣٠).

ثم تصبح الدنيا ذكريات، وهناك من ينتظر رمضان على أمل وهو لا يدري فقد يباغته الأجل قبل أن يدرك ذلك الأمل! {وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير} (لقمان: ٣٤).

أخي في الله! أمنية غالية كان يتمناها النبي صلى الله عليه وسلم ويسأل ربه أن يبلغه إياها إنها نعمة بلوغ شهر رمضان فقد ورد عنه أنه كان يقول: "اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان" الحديث رواه أحمد في المسند والبزار والبيهقي في شعب الإيمان والطبراني في

الأوسط، ذلك الشهر الذي هو من أفضل الشهور ذلك الشهر الذي خصه الله بفضائل كثيرة لا تعد ولا تحصى، أهمها أنه شهر تتنزل فيه الرحمات وتغفر فيه الذنوب والسيئات، وتفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتصفد الشياطين، فيه ليلة هي خير من ألف شهر، شهر تضاعف فيه الحسنات، فماذا أعددت لهذا الشهر ، وماذا أضمرت في نفسك من استعدادات لهذا الشهر، فاحمد الله حمدا يليق بمنه وفضله بأن بلغك هذا الشهر الطيب المبارك.

فاللهم سلمنا إلى رمضان، وسلم رمضان لنا، وتسلمه منا متقبلا يا صاحب الفضل والإحسان.

أخي المسلم يا من أدرك رمضان! أبشر نفسي وإياك وأبشر كل مسلم بأشرف الشهور وأزكاها عند الله، والذي أتى بعد طول غياب، ووفد إلينا بعد فراق أبشرك أخي كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه فيقول: "أتاكم رمضان، شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم" أخرجه النسائي والبيهقي.

نعم إنها بشرى عظيمة. كيف لا يبشر المؤمن بشهر يفتح الله فيه أبواب الجنة؟! كيف لا يبشر المذنب بشهر يغلق الله فيه أبواب النار؟! كيف لا يبشر العاقل بوقت يغل الله فيه الشياطين؟! كيف لا يبشر العابد بليلة هي خير من ألف شهر؟! شهر لا تحصى فضائله ولا تعد فوائده—فكيف لا يبشر به؟!

أخي المسلم يا من أدرك رمضان! ها هو الشهر الكريم سيحل عما قريب بساحتك ويملئ عليك الدنيا بهجة وسرورا وبركة، فهذا هو حاله وتلك بعض مراسيم استقباله لك، فما هو حالك أنت أخي، وما هي استعداداتك لهذا الشهر؟!

أخي يا من أدركت رمضان! احمد الله تعالى بأن أفسح لك في أجلك ومد في عمرك حتى أدركت رمضان واحمده بأن أدام عليك نعمة الصحة والعافية في بدنك حتى أدركت رمضان. فحق لك بأن يفرح القلب وتدمع العين بقدوم هذا الضيف الكريم.

أدعوك أخي بهذه المناسبة بأن تفتح صفحة جديدة بيضاء مشرقة مع ربك وإلهك وبأن تسدل الستار على ماض نسيته أنت وأحصاه الله. وبأن تتوب إلى التواب الرحيم من كل ذنب وتقصير وخطيئة. وبأن لا تدع هذه الفرصة تفوتك كما فاتتك في السنوات الماضية.

فهذا هو موسم خصب من مواسم العمل الصالح ثم إلى متى الغفلة والتسويف وطول الأمل واتباع الشيطان والهوى؟!!

ما أجمل رمضان عندما يكون بداية للتوبة والإنابة وميدانا للمنافسة في الطاعات. ذلك الشهر الذي تحط فيه الخطايا وترفع فيه الدرجات وتعتق فيه الرقاب من النيران وتضاعف فيه الحسنات.

فكم من التائبين المنيبين إلى الله في رمضان!! وكم من المستغفرين من ذنوبهم النادمين في رمضان!! وكم من المشمرين للطاعة في رمضان!! وكم من المستيقظين من سبات نومهم لنور الهداية في رمضان!! وكم من المقلعين عن الذنوب والمعاصي المودعين لها في رمضان!!

ولذا أخي أدعوك لتنضم .. إلى قوافل التائبين القاصدة باب من هو غني عن خلقه سبحانه، وباب من لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة، وباب غافر الذنب وقابل التوب قبل أن يقفل هذا الباب بطلوع الشمس من مغربها أو بلوغ الروح الحلقوم وعندئذ لا ينفع الندم والتحسر. فطوبى لمن أجاب فأصاب، وويل لمن طرد عن الباب.

أخي المسلم يا من أدرك رمضان! إن في اغتنام مواسم الخير بالجد في العمل الصالح والتوبة إلى الله تعالى مما سلف من القبائح ما يعوض الله به العاملين عما مضى في نقص العمل، ويصرف به عقوبة ما اقترف المرء من الزلل، ويتجدد به النشاط في الخير، ويزيل به مظهر السآمة والملل، فيتبارى المتنافسون في مضمار السباق مقبلين على الله تعالى من شتى الآفاق ينشدون مغفرة الخطايا والزلات، ويطمعون في جنة عرضها الأرض والسماوات عسى أن يكونوا ممن {يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم} (التوبة).

إن من أعظم نعم الله عليك أنت أخي أن مد في عمرك وجعلك تدرك هذا الشهر العظيم، فكم غيب الموت من صاحب، ووارى الثرى من حبيب، فإن طول العمر والبقاء على قيد الحياة فرصة للتزود من الطاعات والتقرب إلى الله عز وجل بالعمل الصالح، فرأس مال المسلم هو عمره، لذا احرص على أوقاتك وساعاتك حتى لا تضيع سدى، وتذكر من صام معك العام الماضي وصلى العيد!! ثم أين هو الآن بعد أن غيبه الموت؟! وتخيل أنه خرج إلى الدنيا اليوم فماذا يصنع؟! هل سيسارع إلى النزهة والرحلات؟! أم إلى الانغماس في الملذات

والشهوات ؟! كلا – والله – بل سيبحث عن حسنة واحدة، فإن الميزان شديد ومحصى فيه مثقال الذر من الأعمال {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} (الزلزلة:٧–٨).

فاجعل لک أخي الكريم في رمضان نصيبا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اغتنم شبابک قبل هرمک وصحتک قبل مرضک وفراغک قبل شغلک، وحياتک قبل موتک" واحرص أن تكون من خيار الناس كما أخبر بذلک الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال صلى الله عليه وسلم: "من طال عمره وحسن عمله" قال: فأي الناس شر ؟ .. قال صلى الله عليه وسلم: "من طال عمره وساء عمله" رواه مسلم.

فرحم الله عبدا سارع إلى طاعة مولاه، وترک شهوته وهواه، فكان له الأجر العظيم والنعيم المقيم ما تقر به عيناه {يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد} (آل عمران: آية ٣٠).

أخي المسلم يا من أدرک رمضان! هل من وقفة صادقة للمحاسبة؟! هل من وقوف جاد للتأمل؟! لعلک أخي تستبين منعطفا تستقيم به على الجادة (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان} (البقرة: ١٨٥). إن شهر رمضان هو شهر مغفرة الذنوب وستر العيوب، ومضاعفة الأجور، شهر تعتق فيه الرقاب من النيران، وتفتح فيه أبواب الجنان، شهر تتنزل فيه الرحمات وتتضاعف فيه الحسنات، شهر كله خير وفضائل، وفرصة للتنافس فيه بصالح الأعمال، شهر قد أظلنا زمانه وأدركنا أوانه، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ملفتا الأنظار إلى فضله، ويحث المخاطبين واللاحقين إلى اغتنام وقته فقال: "أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه برحمته ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل" (قال الهيثمي رواه الطبراني في الكبير).

فشهر هذا فضله وشرفه وقدره وتلک منزلته وعلو مكانته، فقل لي بالله عليک كيف يستقبل هذا الوافد الكريم وهذا الشهر العظيم؟!

* يستقبل شهر رمضان بتهيئة وتزكية النفوس وتصفيتها وتنقيتها من الضغائن والأحقاد التي خلخلت العرى وأنهكت القوى ومزقت المسلمين شر ممزق، فالذي يطل عليه رمضان

وينزل بساحته وهو عاق لوالديه قاطع لأرحامه، هاجر لإخوانه، أفعاله قطيعة، دوره في المجتمع النميمة، أقواله سباب وفسق وزور فهيهات ... هيهات أن يستفيد من رمضان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه" رواه البخاري. وقال بعض السلف: "أهون الصيام ترك الشراب والطعام" وكان السلف إذا صاموا جلسوا في المساجد وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحدا.

* يستقبل رمضان بتطهير المال من الحرام، فالمال الحرام سبب البلاء في الدنيا ويوم الجزاء، فلا يستجاب معه الدعاء، ولا تفتح له أبواب السماء، فما أفظعها من حسرة وندامة أن تلهج الألسن بالدعاء ولا استجابة، وربنا الرحمن يقول: {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون} (البقرة: ١٨٦).

فبادر رعاك الله ! وانظر في نفسك وابحث في بيتك، وأدخل يدك في جيبك، وتطهر من كل مال حرام ليس من مالك، حتى تقف بين يدي الله بقلب خاشع ومال طاهر ودعاء صادق، يصعد في الفضاء وتفتح له أبواب السماء. أخرج مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الصلوا ت الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر".

* يستقبل رمضان على أنه مدرسة لتقوية الإيمان وتهذيب الخلق وتصفية القلب وتزكية النفس وتقوية الإرادة.

ولكن يا أخي – وللأسف – يأتي رمضان وفي الزمن تعساء يستقبلونه على أنه شهر جوع نهاري وشبع ليلي، ونوم في الفرش في النهار إلى ما بعد العصر وسمر في الليل ممتد إلى طلوع الفجر، ليس رمضان عندهم إلا موسم للموائد الزاخرة بألوان من الطعام والشراب، ذو العمل منهم يتبرم من عمله ، وصاحب التعامل يسيء في تعامله، وذو الوظيفة ثقلت عليه وظيفته.

وجوههم عابسة، وصدورهم ضيقة، وألسنتهم سليطة، وغيظهم حانق لا يرون في رمضان إلا جوعا لا تتحمله أمعاءهم، وعطشا لا تقوى عليه عروقهم، فيا خسارة من كان هذا دأبه ويا حسرة من هذا شأنه فوالله لقد حرم الخير الكثير وفاته الفضل الكبير، حرم لذة الصبر في نهار رمضان، وفقد لذة المناجاة في ساعات الليل الغالية، فلم تفتح له أبواب الجنان ولم تغلق عنه أبواب النيران، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ويقابل هؤلاء التعساء قوم رضي الله عنهم ورضوا عنه، يستقبلون شهرهم ليجددوا فيه صلتهم مع ربهم فيجدون في نهاره لذة الصابرين، ويعيشون فيه عيشة الأبطال المجاهدين، ويقطعون ليلهم بلذيذ المناجاة وصادق الابتهالات إيثار جميل وصبر كريم، وتهذيب في الخلق نبيل، لا يقابلون الإساءة بالإساءة ولا يردون البذاءة بالبذاءة "وإن سابه أحد أو قاتله قال: إني صائم" رواه البخاري ومسلم.

فهؤلاء أخي هم الذين تفتح لهم أبواب الجنان في رمضان، وتغلق عنهم أبواب النيران، وتتلقاهم الملائكة ليلة القدر بالبشر والسلام، هؤلاء هم الذين ينسلخ عنهم رمضان مغفورا لهم، مكفرة عنهم سيئاتهم، مجلوة قلوبهم، مجددة بقوة الإيمان عزائمهم، قد مسح الصيام عن جبينهم وعثاء الحياة، وأزال عن أجسامهم غبار المادة، وأبعد عن بطونهم ضرر التخمة وباعد عن إرادتهم الوهن والتردد ودفع عن أنفسهم الحيرة والفتور وغذى إيمانهم بالقوة والنور.

أخي المسلم المبارك! ينقسم الناس في رمضان إلى فريقين في استقبال شهر رمضان والاستعداد له فانظر إلى نفسك من أي الفريقين أنت.

صنف اقتدى بأولئك السلف الصالح، فاتخذوا رمضان موسما لطاعة الله ومضاعفة الخيرات، صاموا نهاره، فأحسنوا الصيام، وقاموا ليله فاحسنوا القيام. أولئك هم الذين انتفعوا برمضان حق الانتفاع.

أما الصنف الآخر لم ينتفعوا برمضان ولم يستفيدوا مما فيه من صيام وقيام! لماذا! لأن الله جعل الصيام للقلب والروح فجعلوه للبطن والمعدة جعله الله للحلم والصبر، فجعلوه للغضب والبطش، جعله الله للسكينة والوقار، فجعلوه شهر السباب والشجار، جعله الله ليغيروا فيه من صفات أنفسهم، فما غيروا إلا مواعيد أكلهم وشربهم وشهواتهم. جعله الله تهذيبا للغني الطاعم ومواساة للبائس المحروم الجائع، فجعلوه معرضا لفنون الأطعمة والأشربة، يزداد الغنى فيه تخمة والفقير حسرة.

فقل لي يا أخي بالله عليك أي الفريقين أحق بأن تفتح له أبواب الجنان، وتسد عنه أبواب النيران؟! أي الفريقين قد صفدت شياطينه؟! ومن منهم أحق بنفحات الرحمن؟ ومن الأحرى بموافقة ليلة القدر، فتغفر ذنوبه وتعتق رقبته من النار ويدرك رحمته ربه العزيز الغفار؟!

جاء أبو أمامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "مرني بأمر ينفعني الله به فقال: "عليك بالصيام، فإنه لا مثل له". رواه النسائي وصححه الألباني.

وثبت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه قال: "من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" وعند البخاري قوله صلى الله عليه وسلم: "من صام يوما في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا".

الله أكبر يا عبد الله ما أوسع رحمتك يا رب، صيام يوم واحد يباعد وجه صاحبه عن النار سبعين خريفا، فما بالك بصوم شهر رمضان كله.

أخي الحبيب! معذرة للإطالة فأنا أحب لك الخير كما أحبه لنفسي، وأذن لي أن أهاتف سمعك بهذا السؤال فأقول: من أي الفريقين أنت؟! وما هي استعداداتك لهذا الشهر الكريم والضيف العزيز؟!

نعم أخي! فأني أراك تجيب وتقول بلسان الحال والمقال أنا من الذين يستقبلون هذا الضيف العزيز والوافد الكريم بقلب صافي ونفس طيبة زكية ويسوقني الشوق إلى لقاءه.

نعم أخي! إني لأظنك من هذا الصنف الذين يسارعون في الخيرات ويلهثون بالدعوات يرجون رحمة الله ويخافون عقابه أحسبك كذلك ولا أزكي أحدا على الله، والله حسيبك.

اللهم بلغنا رمضان، ووفقنا لصيامه وقيامه، واقبلنا فيه، وتقبله منا، اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا وارض عنا، واجعلنا مجتمعين غير متفرقين، مغفورا لنا إنا كنا مذنبين وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وكفر عنا سيئاتنا وأجزل حسناتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

***

الشهر المبارك

بدموع الأحزان نودع شهر رمضان

الشيخ سليمان بن عبد الكريم المفرج

الحمد لله الذي كتب على هذه الخليقة فناء وزوالا، وجعل لكل شيء منها إدبارا وإقبالا، ليدلنا بذلك على أن لكل نازل رحيلا وانتقالا، أحمده وأشكره إذا أعاننا على الصيام ولاقيام كرما منه وإفضالا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنفع شاهدها عاجلا ومآلا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله يرشد جهالا وضلالا، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أزكى الأمة أعمالا وأصدقهم أقوالا، أما بعد:

عباد الله! هذا شهركم قد قُوضت خيامه وتقطعت حباله وتصرمت أيامه، وهو شاهد لكم غدا بما عملتم وشاهد عليكم بما أضعتم، فيا ليت شعري هل يرحل حامدا صنيعكم أو ذاما تضييعكم.

إني أعزيكم بانقضاء شهر رمضان، وحق لكل قلب أن يعزى بفراقه، وإنها لنعمة كبيرة أن أبقانا الله لنعانقه ونعيش أيامه ولياليه في روحانية وإيمان وأنس واطمئنان.

وحق لكل مسلم أن تذرف عيناه دموع الحزن على فراقه، ولا نلام إذا انهملت الدموع على الخدود وجادت بأغلى ما لديها:

ياعيـونا أرسلت أدمعـهـا ... مابذا بأس لو أرسلت الدما

فماذا قدمنا أيها الأحبة لهذا الضيف الذي أفل نجمه، وانطفأت شمسه؟

والله لو كانت القلوب سليمة لخالجها الأسى بمغادرته، ووالله لو لم يكن فيه إلا طرب القلوب والوقوف عند باب الرب لكفى.

لقد كنت يا رمضان للقلوب مقوما وللوجوه منبرا، وللعيون مفيضا.

وحق لعين أن تريق دموعها ... ولا خير في عين بذلك تبخل

هنيئا لمن أكرمك أيها الضيف الراحل، ويا خسارة من فرط في إكرامك وارتحلت ولم يغفر له بإدراكك.

سلف الأمة إذا شارف رمضان على الانقضاء حزنوا وبكوا، كيف لا وقد كان لهم رمضان أنسا ومغنما، وعلموا ما في رمضان فتمنوا السنة كلها رمضان، ويدعون الله ستة أشهر أن يقبله منهم، فالمعول على القبول لا على الأداء فحسب، لسان حال الواحد منهم يقول:

وإني حقيق بالتضرع والبكا   إذا ما هدا النوام والليل غيهب
وجالت دواعي الحزن من كل جانب   وغارت نجوم الليل وانقض كوكب
كفى أن عيني بالدموع غزيرة   وأني بآهات صدري معذب

من منا لا تؤلم نفسه لحظات الفراق؟ ومن منا لا تجرح مشاعره ساعات الغياب؟ بدموع الفرح استقبلنا رمضان، وكأنني بك أخي تطلق العبرات والزفرات لسماع أول الموعظات، وها أنت الآن بدموع الأثر والتأثر تودعه، وكأنني بك نادم كل الندم على التقصير والزلات.

أخي وأنت تودع رمضان تذكر أن رمضان جاء وها هو يذهب، وقد طوى دفاتره وسوى حساباته، وأعلن عمن فاز بالربح وكسب الجولة، وختم كشوفه مع من خسر وغُبن في البيعة، ولا ندري والله أنُهنّأ بقدوم عيد الفطر أو نُعزّى بفراق شهر القرآن والذكر.

ذهب رمضان ليعود على من بقي، وليودع من رَحَل، ذهب رمضان فجرت المدامع وتناقص عدد الناس في الجوامع.

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه   هل من سبيل إلى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعي وهي دامية   ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

اغتنموا شهركم بالتوبة النصوح، واسكبوا غزير الدمع لعل الله أن يتقبلكم، فكم من شخص جاء بالقليل وتوجه بالقبول! وكم من شخص عمل الكثير لكنه مُني بالحرمان!

إخواني! هذا شهر رمضان موسم القبول والغفران ما بقي منه إلا القليل، وكأنه طيف زار في النوم، لقد كان للمتقين روضة وأنسا وللغافلين قيدا وحبسا ، وكان نزهة للأبرار وقيدا للأشرار، فطوبى لمن حل فيه عقدة الإصرار ونزل في روضة التقوى في دار الافتقار، وختم شهره بالاستغفار، لعله يرقع خلل التقصير ويمحو الأوزار.

أي شهر قد تولى يا عباد الله عنا   حق أن نبكي عليه بدماء لو عقلنا
كيف لا نبكي بشهر مر بالغفلة عنا   ثم لم نعلم أنا قد قُبلنا أو طردنا
ليت شعري من هو المحروم والمطرود منا   ومن المقبول ممن صام منا فيُهنّا

كان هذا الشهر نورا يرتدي زهوا وحسنا فاجعل اللهم عقباه لنا خيرا وغُنما

إخواني! اجتهدوا في باقيه وتلافوا تفريطكم ما أمكن تلافيه، متى يُغفر لمن لم يُغفر له فيه، ومتى يصلح من صعب عليه إدراك فارطه وأقام على تماديه، لقد كان متبها لذوي الغفلات والنسيان، موسما لمضاعفة الأعمال والغفران، مخصوصا لفضيلة تلاوة القرآن، وقت إفاضات الكرم من المولى والإحسان، ليله معمور بالقيام ونهاره مصون بالصيام، فكيف لا تجري دموع المؤمن على فقد رمضان وهو لا يدري أحظي بالقبول والغفران؟ أم رُمي بالطرد والحرمان، ثم لا يشعر أهو يدركه في الزمان الثان.

كيف لا يجري للمؤمن على فراق رمضان دموع وهو لا يدري هل بقي له في عمره رجوع؟

تذكرت أياما خلت ولياليا خلت فجرى من ذكرهن دموع

ألا هل لها يوما من الدهر عودة وهل لي إلى يوم الوصال رجوع

وهل بعد إعراض الحبيب تواصل وهل لبدور قد أفلن طلوع

أين حرق المجتهدين في نهاره؟ أين قلق المتهجدين في أسحاره؟ كيف حال من خسر في لياليه وأيامه؟ ماذا يفعل المفرط فيه بكاؤه، وقد عظمت فيه مصيبته وجل عزاؤه؟ كم نصح المسكين فما قبل النصح، كم دُعي إلى المصالحة فما أجاب الصلح، كم شاهد الواصلين فيه وهو متباعد، كم مرت به زمر السائرين وهو قاعد، حتى إذا ضاق به الوقت وخاف المقت ندم على التفريط حيث لا ينفع الندم، وطلب الاستدراك في وقت العدم.

إخواني! ماذا استفدنا من رمضان؟ سؤال يطرح نفسه عند وداع شهر الصيام، وليقف كل واحد منا مع نفسه لحظات، كيف استقبل الشهر؟ هل أطعم جائعا؟ هل عاد مريضا؟ هل زار ميتا؟ هل فطر صائما؟ هل واسى يتيما؟ هل أرشد ضالا؟ هل طيّب خاطرا؟ هل بر والدا؟ هل أصلح بينا؟ هل أزال منكرا؟ هل طهّر مالا؟ هل ربّى حقا ولدا؟ هل تذكر ضعفا؟ هل لله رفع كفا؟ هل منه ذرفت عينا؟ هل كان حليما؟ هل أغاث ملهوفا؟ هل قدم عونا؟

إخواني! كم أناس صلوا في هذا الشهر صلاة التراويح وأوقدوا في المساجد طلبا للأجر المصابيح، ونسخوا بإحسانهم كل فعل قبيح، وقبل التمام سكنوا الضريح ولم ينفعهم المال

والآمال، رحلوا عن الدنيا قدما قدما ونقض ما بنوه هدما هدما، أدارت عليهم المنون رحاها، وأحلّت وجوههم في الثرى فمحاها.

وهذا حالك عن قريب، فتيقظ يا قليل الزاد وحادي رحيله قد حدى، تأهب للتّلف وتهيأ للردى، ذهب عنك شهر الصيام وودعك، وسارت فيه قوافل الصالحين وجهلك منعك، والتوبيخ متوفر فما أرجعك وما أزعجك، وأنت تؤمل منازل العالمين بأفعال الغافلين فما أطمعك، كم من صائم يفضحه الحساب والعرض، وكم من عاص في هذا الشهر تستغيث منه الأرض، فيا ليت شعري من المقبول منا فنهنيه على توفيق الله له بحسن عمله، ويا ليت شعري من المطرود منا فنعزيه بسوء فعله، لله در أقوام حرسوا بالتقى أوقاتهم، وتدرعوا دروع المراقبة في صبرهم، وجمعوا بين الصدق والاخلاص في ذكرهم، صبروا باليقين على ظمأ الهواجر، وبسطوا أقدامهم على بساط الدياجر، وعملوا ليوم فيه القلوب لدى الحناجر، أقبلوا على ربهم إقبال عالم، ما سلكوا إلا الطريق السالم، تذكروا ذنوبهم القدائم فجددوا بصدق العزائم، وعدّوا التقصير من العظائم، وبذلوا المهج الكرائم، فإذا جنّ الليل فساجد وقائم، أين أنت وهم؟ فهل ترى الساهر كالنائم، كلا ولا المفطر كالصائم.

وإلى كل من عزم على هجران الطاعات بعد رمضان أقول: اتقوا الله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، واعلموا أن رب رمضان هو رب الشهور كلها، والعبادة لا تنقضي أبدا.

يقول تعالى لرسوله: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} يقول الإمام أحمد: بئس القوم لا يعبدون الله إلا في رمضان.

شتان وشتان بين من يرى رمضان كأنه حبيب زار بعد طول بعاد، وطيف خيال ألمّ في طيب سُهاد، فقد شغله أنسه بحبيبه عن الأنام، فهو يتمنى لو كان رمضان على الدوام، قد هجر فيه لذيذ المنام، ولزوم الوقوف في حندس الظلام.

وآخر يرى رمضان موسما لنيل الشهوات ويعد أيامه استعجالا لأوقات الهفوات، وفرّط في الإنابة والتوبة وقصر عن الإجابة والأوبة، فازداد برمضان وزرا على وزره واكتسب بأيامه خسرا إلى خسره، ولم يتزود منه ليوم حشره، ورضي بإبعاده وهجره، والسعيد في آخر

هذا الشهر الذي يتذكر الوعد والوعيد ويطلب من مولاه المزيد، فهي أيام يتفضل فيها الملك المجيد ويُعتق الإماء والعبيد.

اغتنموا العمل الصالح المبرور قبل طول الثواء في القبور، وانهضوا إلى الأسباب قبل طي الكتاب، وبادروا بالاستغفار قبل إغلاق الباب وإسبال الحجاب.

إخواني ! عن قريب ستفرحون بالعيد وتلبسون الجديد، فالله الله لا تنسوا الجسد الجريح في كثير من بلدان المسلمين، واسوهم بمالكم وخصصوا لهم من دعائكم ولا تنسيكم فرحة العيد إخوانكم، وليكن عيدكم عبادة لا موسم معاص أو عادة.

في وداع رمضان يكتب القلم بمداد الحزن، والعبرات تسبق العبارات:

دع البكاء على الأطلال والدار	واذكر لمن بان من خل ومن جار
واذر الدموع نحيبا وابك من أسف	على فراق ليال ذات أنوار
على ليال لشهر الصوم ما جعلت	إلا لتمحيص آثام وأوزار
يا لائمي في البكا زدني به كلفا	واسمع غريب أحاديث وأخبار
ما كان أحسننا والشمل مجتمع	من المصلي ومن القانت القاري
وفي التراويح للراحات جامعة	فيها المصابيح تزهو مثل أزهار
شهر به ليلة القدر التي شرفت	حقا على كل شهر ذات أسرار
تنزّل الروح والأفلاك قاطبة	بإذن رب غفور خالق باري
شهر به يعتق الله العصاة وقد	أشفوا على جُرف من حصة النار
نرجو الإله محب العفو يعتقنا	ويحفظ الكل من شر وأكدار
ويشمل العفو والرضوان أجمعنا	بفضلك الجم لا تهتك لأستار
فابكوا على ما مضى في الشهر واغتنموا	ما قد بقي فهو حق عنكم جاري

أخيرا أخي ! من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، وقنع بالتوبة والحزن، فمدّ إلى ربك يد الافتقار، وقم على بابه بالذل والانكسار، وارفع قصة ندمك على صحيفة خدك بمداد الدموع الغزار، قف على الباب باكيا، ونكّس الرأس شاكيا، وألح على المولى داعيا، وقل بلسان الاعتذار وأنت نادم على الذنوب والأوزار:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة	فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
أدعوك ربي كما أمرت تضرعا فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الدعا وجميل عفوك ثم أني مسلم

سلام عليك يا شهر رمضان! ياشهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن! سلام عليك يا شهر التجاوز والغفران والبر والإحسان! يا شهر الأنوار والمصابيح! يا شهر يترك فيه القبيح! سلام عليك يا شهر التراويح والمتجر الربيح!

سلام من الرحمن كل أوان علي خير شهر قد مضى وزمان
سلام على شهر الصيام فإنه أمان من الرحمن كل أمان
لئن كُنت يا شهر الصيام منورا لك فؤاد مظلم وجنان
ترحّلت يا شهر الصيام بصومنا وقد كنت أنوارا بكل مكان
لئن فنيت أيامك الزهر بغتة فما الحزن من قلبي عليك بفان
عليك سلام الله كن شاهدا لنا بخير رعاك الله من رمضان

اللهم أعد علينا رمضان أعواما عديدة وأزمنة مديدة في حياة سعيدة، اللهم أعده على الأمة الإسلامية وقد صلحت أحوالها واندملت جراحاتها، اللهم استر علينا فاضحات السرائر، وهب لنا موبقات الجرائر وسامحنا عن كل قبيح نطقت به الألسن وأكنته الضمائر، فها نحن عبيدك الخاضعون لهيبتك المتذللون لعزك وعظمتك الراجون لجميل رحمتك، أمرتنا ففرطنا ولم تقطع عنا نعمتك، ونهيتنا فعصينا فلم تحرمنا كرمك، اللهم ردنا إليك بفضلك ورحمتك ووفقنا للإقبال عليك والاشتغال بخدمتك، وتفضل علينا فأنت البادي بالإحسان قبل توجه السائلين، وأنت الجواد بالعطاء قبل طلب الراغبين. فأتمم علينا إحسانك كما بدأتنا وأسبل علينا عفوك كما عودتنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

التعليم والتربية

الحفظ

أهميته، عجائبه، طريقته، أسبابه

(٢)

عبد القيوم بن محمد بن ناصر السحيباني

ومنهم من يحفظ قدرا كثيرا في وقت قليل، كما حفظ القرآن الكريم في وقت قصير، فمن هؤلاء:

١- أبو وائل شقيق بن سلمة (ت ٨٢) تعلم القرآن في شهرين.[١]

٢- محمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٥) حفظ القرآن في ثمانين ليلة.[٢]

٣- قال هاشم الكلبي: حفظت ما لم يحفظه أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد، كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن، فدخلت بيتا وحلفت أن لا أخرج حتى أحفظ القرآن، فحفظته في ثلاثة أيام. ونظرت يوما في المرآة، فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة.[٣]

٤- طالب تركي يدرس في الجامعة استطاع أن يحفظ القرآن الكريم في سبعين يوما فقط.[٤]

٥- قال الدويش: حدثني أحد المشايخ الحفاظ الذين يعتنون بحفظ القرآن الكريم وتعليمه أن رجلا حفظ القرآن في ثلاثة أشهر، كان يحفظ وهو يسقي أو يسني -كما يعرف ذلك كبار السن- فكان معه مصحفه وهو على دابته ذهابا وإيابا يحفظ حتى استطاع أن يحفظ القرآن في ثلاثة أشهر.[٥]

٦- يذكر أحد المقرئين أن هناك من الشباب من حفظ القرآن في الإجازة الصيفية وحدها.[٦]

ومنهم من حفظ متونا كثيرة من السنة في وقت قصير، أو حفظ نصوصا أدبية، فمن هؤلاء:

---

[١] السير (٤/١٦٣).
[٢] تذكرة الحفاظ (١/١١٠).
[٣] الحث على حفظ العلم ص ٦٥.
[٤] حفظ القرآن الكريم للدويش ص ٤٨.
[٥] حفظ القرآن الكريم للدويش ص ٤٩.
[٦] انظر: حفظ القرآن الكريم للدويش ص ٤٩.

١–قال قطب الدين بن اليونيني: عن أبيه – حفظ الجمع بين الصحيحين، وحفظ صحيح مسلم في أربعة اشهر، وحفظ سورة الأنعام في يوم واحد، وحفظ ثلاث مقامات من الحريرية في بعض يوم.[١]

٢–محمد بن عمر صدر الدين ابن الوكيل (ت ٧١٦) حفظ المقامات في خمسين يوما، وديوان أبي الطيب في جمعة.[٢]

٣–قال أبو القاسم التنوخي: سمعت أبي – ولي إذ ذاك خمس عشرة سنة – ينشد بعض قصيدة دعبل الطويلة التي يفخر فيها باليمن ويعدد مناقبهم – وهي نحو ست مائة بيت – فاشتهيت حفظها لما فيها من تفاخر اليمن أهلي. فقلت: يا سيدي ادفعها إلي حتى أحفظها، فدافعني فألححت عليه. فقال: كأني بك تأخذها فتحفظ منها خمسين بيتا أو مائة بيت وترمي بالكتاب. فقلت: ادفعها إلي، فأخرجها وسلمها إلي، فدخلت حجرة كانت برسمي من داره وخلوت فيها، ولم أتشاغل بيومي وليلتي بشيء عن حفظها، فلما كان في السحر كنت قد فرغت من جميعها وأتقنتها، فخرجت إليه غدوة على رسمي، فجلست بين يديه، فقال لي: كم حفظت من قصيدة دعبل؟ فقلت: قد حفظتها بأسرها. فغضب، وقدراماني قد كذبته، فقال: بها، فأخرجت الدفتر من كمي ففتحه ونظر فيه وأنا أنشد إلى أن مضيت في أكثر من مائة بيت، فصفح منها عدة أوراق وقال: أنشد من ههنا فأنشدته إلى آخرها، فلما رأى من حسن حفظي ضمني إليه وقبل رأسي وعيني، وقال: بالله يا بني لا تخبر بهذا أحدا، فإني أخاف عليك العين.[٣]

ومنهم من يحفظ القدر الكثير في المجلس الواحد، فمن هؤلاء:

١–قيل لهشيم بن بشير: كم كنت تحفظ يا أبا معاوية؟ قال: كنت أحفظ في المجلس مائة حديث، ولو سئلت عنها بعد شهر لأجبت![٤]

٢–قال وكيع: ما كان أحد من أصحابنا أحفظ للحديث منه – يعني يحيى بن يمان – كان يحفظ في المجلس خمس مائة حديث.[٥]

---

[١] تذكرة الحفاظ (١٤٤٠/٤).
[٢] الدرر الكامنة (١١٩/٤).
[٣] الحث على حفظ العلم ص٥١.
[٤] الكامل لابن عدي (٩٥/١)، والحث على حفظ العلم ص٦٥.
[٥] تهذيب الكمال (٥٨/٣٢)، الكاشف (٢٧٣/٣).

٣-أبو عبد الله اليونيني كان يحفظ في الجلسة الواحدة ما يزيد على سبعين حديثا.[1]

المبحث الثاني: عجائب في قوة الحفظ:

إن في الأمة الإسلامية رجالا ضربوا أمثلة عجيبة في قوة الحفظ، تجد في هذه العجالة نبأ بعضهم:

١-قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨):

عن معمر قال قتادة لسعيد بن المسيب: يا أبا النضر خذ المصحف فأمسك علي، فقرأ عليه سورة البقرة، فما أسقط منها واوا ولا ألفا ولا حرفا. فقال: يا أبا النضر أحكمت؟ قال: نعم. قال: لأنا لصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ مني لسورة البقرة.[2]

٢-أبو نعيم الفضل بن دكين (ت ١١٨):

قال أحمد بن منصور: خرجت مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين إلى عبد الرزاق خادما لهما، فلما عدنا إلى الكوفة، قال يحيى: أريد أن أختبر أبا نعيم. فقال أحمد: لا ترد، فالرجل ثقة. قال يحيى: لا بد لي، فأخذ ورقة، فكتب فيها ثلاثين حديثا من حديث أبي نعيم، وجعل على رأس كل عشرة منها حديثا ليس من حديثه، ثم جاءوا إلى أبي نعيم، فخرج وجلس على دكان طين، وأخذ أحمد بن حنبل، فأجلسه عن يمينه، ويحيى عن يساره، وجلست أسفل الدكان.

ثم أخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة أحاديث، فلما قرأ الحادي عشر، قال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي اضرب عليه.

ثم قرأ العشر الثاني وأبو نعيم ساكت، فقرأ الحديث الثاني، فقال: ليس من حديثي فاضرب عليه.

ثم قرأ العشر الثالث وأبو نعيم ساكت، ثم قرأ الحديث الثالث، فتغير أبو نعيم، وانقلبت عيناه، وأقبل على يحيى فقال: أما هذا -وذراع أحمد بيده- فأروع من أن يعمل هذا، وأما هذا -يريدني- فأقل من أن يفعل ذلك، ولكن هذا من فعلك يا فاعل.

ثم أخرج رجله فرفس يحيى، فرمى به من الدكان، وقام فدخل داره.

فقال أحمد: ألم أمنعك وأقل لك إنه ثبت.

قال يحيى: والله لرفسته لي أحب إليّ من سفرتي.[3]

---

[1] تذكرة الحفاظ (١٤٣٠/٤).
[2] الحلية (٣٣٤/٢)، سير أعلام النبلاء (٢٧٢/٥).
[3] السير (١٤٨/١٠).

٣–عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٨):

قال عاصم بن أبي النجود: مرضت سنتين، فلما قمت قرأت القرآن فما أخطأت حرفا.[١]

٤–طلحة بن عمرو (ت ١٥٢):

قال معمر: اجتمعت أنا وشعبة والثوري فقدم علينا شيخ فأملى علينا أربعة آلاف حديث عن ظهر قلب فما أخطأ إلا في موضعين لم يكن الخطأ منا ولا منه، إنما الخطأ من فوق. فكان الرجل: طلحة بن عمرو.[٢]

٥–وكيع بن الجراح (ت ١٩٦):

قال وكيع بن الجراح: ما نظرت في كتاب منذ خمس عشرة إلا في صحيفة يوما، فنظرت في طرف منه، ثم أعدته مكانه.[٣]

قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أوعى للعلم من وكيع، ولا أحفظ من وكيع، ما رأيت وكيعا شك في حديث إلا يوما واحدا، ولا رأيت مع وكيع كتابا ولا رقعة قط.[٤]

قال ابن عمار: قلت لوكيع: عدّوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها؟

قال: حدثتهم بعبادان بنحو من ألف وخمس مائة حديث، وأربعة أحاديث ليس بكثير في ألف وخمس مائة حديث.[٥]

٦–علي بن المديني (ت ٢٣٤):

قال جعفر بن درستويه: أُقعد علي بن المديني بسامرا على منبر فقال: يقبح بمن جلس هذا المجلس أن يحدث من كتاب، فأول حديث حدث من حفظه غلط فيه، ثم حدث سبع سنين من حفظه لم يخطئ في حديث واحد.[٦]

٧–إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨):

---

[١] سير أعلام النبلاء (٢٨٥/٥).
[٢] كتاب الحدائق لابن الجوزي (٢٤/١).
[٣] تهذيب الكمال (٤٧٧/٣٠).
[٤] تهذيب الكمال (٤٧١/٣٠).
[٥] تهذيب الكمال (٤٧٧/٣٠).
[٦] الجامع لأخلاق الراوي (١٣/٢).

قال أبو داود الخفاف: أملى علينا إسحاق بن راهويه أحد عشر ألف حديث من حفظه، ثم قرأها علينا فما زاد حرفا ولا نقص حرفا.[١]

قال إسحاق: كنت لا أكتب شيئا إلا حفظته، وإني الآن لكأني أنظر إلى أكثر من سبعين ألف حديث في كتابي.[٢]

وقال إسحاق بن إبراهيم: أعرف مكان مائة ألف حديث، كأني أنظر إليها، وأحفظ منها سبعين ألف حديث من ظهر قلبي صحيحة، وأحفظ أربعة آلاف حديث مزورة.

فقيل: ما معنى حفظ المزورة؟ قال: إذا مرّ بي منها حديث في الأحاديث الصحيحة فليتُه منها فليا.[٣]

قال علي بن سلمة اللبقي: كان إسحاق –يعني ابن راهويه– عند الأمير عبد الله بن طاهر وعنده إبراهيم بن أبي صالح، فسأل الأمير إسحاق عن مسألة؟

فقال إسحاق: السنة فيها كذا وكذا، وكذلك يقول من سلك طريق أهل السنة، وأما أبو حنيفة وأصحابه فإنهم قالوا: بخلاف هذا. فقال إبراهيم: لم يقل أبو حنيفة بخلاف هذا.

فقال إسحاق: حفظته من كتاب جده، وأنا وهو في كتاب واحد.

فقال إبراهيم: أصلحك الله كذب إسحاق على جدي.

فقال إسحاق: ليبعث الأمير إليّ جزء كذا وكذا من جامعه.

فأتي بالكتاب، فجعل الأمير يقلب الكتاب، فقال إسحاق: عد من الكتاب إحدى عشرة ورقة، ثم عد تسعة أسطر، ففعل، فإذا المسألة على ما قال إسحاق.

فقال الأمير عبد الله بن طاهر: قد تحفظ المسائل، ولكني أعجب لحفظك هذه المشاهدة! فقال إسحاق: ليوم مثل هذا.[٤]

قال أحمد بن كامل: قال عبد الله بن طاهر: لإسحاق بن راهويه: قيل لي إنك تحفظ مائة ألف حديث؟ قال: (مائة ألف حديث) ما أدري ما هو؟ ولكني ما سمعت شيئا قط إلا حفظته، ولا حفظت –قط– شيئا فنسيته.[٥]

---

[١] الحدائق لابن الجوزي (١/٢٥).
[٢] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب (٢/٢٥٣).
[٣] الجامع للخطيب (٢/٢٥٤).
[٤] تاريخ بغداد (٦/٣٥٣).
[٥] تاريخ بغداد (٦/٣٥٤).

٨–أحمد بن حنبل (ت ٢٤١):

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال لي أبي: خذ أي كتاب شئت من كتب وكيع من المصنف، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإسناد حتى أخبرك أنا بالكلام.[١]

٩–أبو زرعة الرازي (ت ٢٦٤):

قال أبو زرعة: إن في بيتي ما كتبته منذ خمسين سنة ولم أطالعه منذ كتبته، وإني أعلم في أي كتاب هو، في أي ورقة هو، في أي صفحة هو، في أي سطر هو.[٢]

وقال أبو زرعة: أحفظ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان (قل هو الله أحد)، وفي المذاكرة ثلاث مائة ألف حديث![٣]

١٠- ابن أبي داود (ت ٣١٦):

قال ابن أبي داود: حدّثت من حفظي بأصبهان بستة وثلاثين ألفا، ألزموني الوهم فيها في سبعة أحاديث، فلما انصرفت، وجدت في كتابي خمسة منها على ما كنت حدثتهم به.[٤]

١١–أبو عمر الزاهد المعروف بـغلام ثعلب (ت ٣٤٥):

حكى أبو القاسم علي بن الحسن عمن حدثه أن أبا عمر الزاهد كان يؤدب ولد القاضي فأملى يوما على الغلام نحوا من ثلاثين مسألة في اللغة، وذكر غريبها، وختمها ببيتين من الشعر.

وحضر أبو بكر بن دريد، وابن الأنباري، وابن مقسم عند القاضي، فعرض عليهم تلك المسائل، فما عرفوا منها شيئا، وأنكروا الشعر، فقال لهم القاضي: ما تقولون فيها؟

فقال له ابن الأنباري: أنا مشغول بتصنيف مشكل القرآن، ولست أقول شيئا، وقال ابن مقسم مثل ذلك لاشتغاله بالقراءات، وقال ابن دريد: هذه المسائل من موضوعات أبي عمر، ولا أصل لها ولا لشيء منها في اللغة، وانصرفوا.

فبلغ أبا عمر ذلك، فاجتمع مع القاضي، وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عينهم له، ففتح القاضي خزانته، وأخرج له تلك الدواوين، فلم يزل أبو عمر يعمد إلى كل مسألة،

---

[١] السير (١١/١٨٦).
[٢] تاريخ بغداد (١٠/٣٣٢).
[٣] الحدائق لابن الجوزي (١/٣٦).
[٤] السير (١٣/٢٢٤) وانظر: الحث على حفظ العلم ص٤٤.

ويخرج لها شاهدا من بعض تلك الدواوين، ويعرضه على القاضي حتى استوفى جميعها، ثم قال: وهذان البيتان أنشدهما ثعلب بحضرة القاضي، وكتبهما القاضي بخطه على ظهر الكتاب الفلاني، فأحضر القاضي الكتاب، فوجد البيتين على ظهره بخطه، كما ذكر أبو عمر. وانتهت القصة إلى ابن دريد، فلم يذكر أبا عمر بلفظة حتى مات.[1]

١٢- أبو أحمد العسال (ت ٣٤٩):

قيل: إن أبا أحمد العسال أملى أربعين ألف حديث بأردستان، فلما رجع إلى بلده قابل ذلك فإذا به كما أملى.[2]

١٣- ابن العميد محمد بن الحسين (ت ٣٦٠):

قال بعض الكتاب: كنا إذا دخلنا على أبي الفضيل بن العميد، رأينا إلى جانبه في مجلس العمل زهاء مائة مجلدة، فننكر ذلك، ففطن يوما لإنكارنا فقال: إني أحفظ جميع ما في هذه الكتب، فإذا اشتغلت بالعمل عن درسها، أحضرتها عندي فكلما نظرت إليها، ذكرت محفوظي منها، فقام ذلك لي مقام الدرس. ثم قال لرجل منا: خذ أيها شئت. فأخذ الرجل منها كتابا، وقال: هو الثاني من كتاب كذا. فابتدأ أبو الفضل فقرأ من أوله صدرا، ثم وسطه، ثم من آخره. فتحقق عندنا أنه صدق ما قال، وعجبنا من حفظه وعنايته وحرصه.[3]

١٤- الحسين بن أحمد بن بكير (ت ٣٨٨):

قال الأزهري: كنت أحضر عند أبي عبد الله بن بكير، وبين يديه أجزاء كبار فأنظر بعضها، فيقول لي: أيما أحب إليك تذكر لي متن ما تريد من هذه الأحاديث حتى أخبرك بإسناده، أو تذكر لي إسناده حتى أخبرك بمتنه. فكنت أذكر له المتون فيخبرني بالأسانيد من حفظه، وفعلت هذا مرارا كثيرة.[4]

١٥- أبو إسماعيل الهروي (ت ٤٨١):

---

[1] تاريخ بغداد (٣٥٨/٢)، والحث على حفظ العلم ص ٦٠، والسير (٥١٢/١٥).
[2] تذكرة الحفاظ ٨٨٧/٣.
[3] الحث على طلب العلم ص ٧٩.
[4] الحث على حفظ العلم ص ٣٥.

قال أبو إسماعيل الهروي: أنا أحفظ اثني عشر ألف حديث أسردها سردا. قال ابن طاهر: وما ذكر في مجلسه حديثا إلا بإسناده، وكان يشير إلى صحته وسقمه.[1]

أمثلة من المعاصرين:

١- الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – طلب أن يحضر له كتاب الإيمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب فأحضر فقال: افتح صفحة كذا وحدد رقمها، ثم قال: اقرأ سطر ١٢، ثم قال: اقرأ الهامش. ثم قال الشيخ: كتاب الإيمان آخر مرة قرأته منذ (٤٠) عاما، وحدد اسم القارىء.[2]

٢– حدثني إبراهيم بن ناصر السحيباني أنه قابل شابا في الرياض عام ١٤١٤هـ تقريبا، وكان هذا الشاب يدرس في معهد الرياض العلمي في السنة الثانية المتوسطة، وكان يحفظ القرآن مع أرقام الآيات، يقول إبراهيم: كنت أذكر له الآية فيذكر لي رقمها، وأذكر له الرقم فيقرأ الآية. وكنت أسأل عن السورة من آخرها فأقول: ما آخر آية في سورة كذا؟ فيذكر لي. فأقول: ما الآية التي قبلها؟ فيذكر. قال إبراهيم: أنا كنت أسأله بنفسي.

٣– قال محمد بن عبد الله الدويش: كنت عضوا في لجنة لامتحان الحفاظ في الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم وكان ضمن المتقدمين غلام لم يتجاوز العاشرة قد حفظ القرآن كاملا، فسألته أن يقرأ من مواضع تصعب على الحفاظ، فلم يخطيء في حرف واحد، بل كان أحد المتقدمين عمره سبع سنوات قد حفظه كاملا. وشاب آخر عمره ١٢ عاما يحفظ القرآن الكريم حفظا متقنا. فهو يحفظ الآية برقمها.[3]

٤– حدثني أبو سليمان خالد بن عبد الله في عام ١٤٢٢هـ قال: قرأ عليّ أحد مدرسي جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالمدينة النبوية من أول سورة البقرة إلى نهاية سورة الإسراء، حفظا عن ظهر قلب، ومن دون سابق مراجعة، فلم يحصل منه خطأ ولا شك ولا تلعثم. قال: وكان ذلك في عام ١٤١٥هـ تقريبا.

(يتبع)

***

[1] ذيل طبقات الحنابلة (٥٨/١).
[2] انظر الإمام ابن باز دروس ومواقف وعبر للسدحان ص ٢٧–٢٨.
[3] حفظ القرآن الكريم للدويش ص ٤٤.

آداب إسلامية

آداب صلاة العيدين

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

هذه كلمة موجزة في آداب صلاة العيدين، أريد أن أقدمها بين يدي القارئ الكريم ليعرف جيدا آداب وسنن صلاة العيدين كي يعمل بموجبها ويأخذ بها.

سنّ الإسلام آدابا وسننا تتعلق بصلاة العيدين أذكر من أهمها فيما يلي:

١–أول وقت صلاة العيد إذا خرج وقت النهي وارتفعت الشمس قيد رُمح من طلوع الشمس وآخره إذا زالت.

٢– يستحب للناس إظهار التكبير في ليلتي العيدين في مساجدهم ومنازلهم وطرقهم، مسافرين كانوا أو مقيمين، استجابة لقول الله تعالى: {ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون}.[١]

وقد ثبت في "الصحيح" أن ابن عمر كان يكبر في قبته بمني يسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيرا.[٢]

٣ – ويستحب أن يكبّر في طريق العيد ويجهر بالتكبير فعن سعيد قال: حدثنا عبدالعزيز بن محمد حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا خرج من بيته إلى العيد كبّر حتى يأتي المصلى.[٣]

٤–ويستحب الأكل في الفطر قبل الصلاة، وأن لا يأكل في الأضحى حتى يصلي لما روى أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات، وقال مرجأ بن رجاء: حدثني عبيدالله قال: حدثني أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويأكلهن وترا.[٤]

---

[١] البقرة: ١٨٥.
[٢] أخرجه البخاري (٢/٢٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.
[٣] أخرجه البيهقي في "السنن" (٣/٢٧٩) والدارقطني (٢/٤٥).
[٤] رواه البخاري.

وعن بريدة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ولا يطعم يوم الأضحى حتى يصلي.[١]

قال في المغني: وأما في الأضحى فإنه كان له أضحية استحب أن يفطر على شيء منها، قال أحمد: والأضحى لا يأكل فيه حتى يرجع إذا كان له ذبح لأن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من ذبيحته، وروى الدارقطني حديث بريدة وفيه: وكان لا يأكل يوم النحر حتى يرجع فيأكل من أضحيته، وإذا لم يكن له ذبح لم يبال أن يأكل.[٢]

٥- ويستحب أن يتطهر بالغسل للعيد لما روى ابن عباس والفاكه سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغتسل يوم الفطر والأضحى.[٣]

٦- ويستحب أن يتنظف ويلبس أحسن ما يجد ويتطيب ويتسوك في العيدين لما روى ابن الأحمر في العيدين والجمعة بإسناده عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس في العيدين بردة حبرة.[٤]

وعائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما على أحدكم أن يكون له ثوبان سوى ثوبي مهنته لجمعته وعيده". (صحيح سنن أبي داود)

٧- يستحب الخروج لصلاة العيد إلى المصلى، وأنه أفضل من فعلها في المسجد، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الأضحى ويوم الفطر فيبدأ بالصلاة..[٥] الحديث.

٨- السنة أن الخطبة للعيد بعد الصلاة ففي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يصلون العيدين قبل الخطبة.[٦]

---

[١] رواه الإمام أحمد والترمذي.

[٢] ٣/١٠٠.

[٣] أخرجه ابن ماجه (١/ح١٣١٥) وأحمد (٤/٧٨) وضعفه الألباني.

[٤] أخرجه البيهقي في السنن (٣/٢٨٠) وذكره الزيلعي في نصب الراية (٢/٢٠٩).

[٥] رواه مسلم في الصحيح، كتاب صلاة العيدين.

[٦] رواه مسلم في الصحيح، كتاب صلاة العيدين.

٩– لا يشرع الأذان ولا الإقامة في العيدين، ففي الحديث عن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيدين غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة.[١]

١٠– تكره الصلاة من السنن والنوافل قبل صلاة العيد وبعدها. ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم أضحى أو فطر فصلى ركعتين لم يصل قبلها ولا بعدها..[٢] الحديث.

١١– يسن إخراج النساء يوم العيد إلى المصلى، فعن أم عطية قالت: أمرنا تعني النبي صلى الله عليه وسلم أن نخرج في العيدين العواتق وذوات الخدور وأمر الحيض أن يعتزلن مصلى المسلمين.[٣]

وقد روي عن أبي بكر وعلي رضي الله عنهما أنهما قالا: "حق على كل ذات نطاق أن تخرج إلى العيدين"[٤] وكان ابن عمر يخرج من استطاع من أهله في العيدين.[٥]

١٢– إن المشروع في العيدين أن تمنع الحيض من المصلى لحديث أم عطية رضي الله عنها المتقدم: "وأمر الحيّض أن يعتزلن مصلى المسلمين". ولا بأس بذكر الله تعالى للحائض والجنب، يكبّران مع الناس، وإنما يحرم عليهما قراءة القرآن، فعن أم عطية رضي الله عنها قالت: "كنا نؤمر بالخروج في العيدين والمخبأة والبكر قالت: الحيض يخرجن فيكن خلف الناس يكبّرن مع الناس".[٦]

١٣– يستحب أن تحضر النساء مجامع الخير ودعاء المسلمين وحلق الذكر والعلم، فعن أم عطية رضي الله عنها قالت: "امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نُخرجَ في الفطر والأضحى العواتق والحيّض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين[٧] الحديث.

---

[١] رواه مسلم في الصحيح، كتاب صلاة العيدين.
[٢] رواه مسلم في الصحيح، كتاب صلاة العيدين.
[٣] رواه مسلم في الصحيح، كتاب صلاة العيدين.
[٤] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٢/٢).
[٥] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٢/٢).
[٦] رواه مسلم.
[٧] رواه مسلم.

١٤– ويستحب للإمام أن يأتي النساء ويذكرهن ويعظهن بعد الفراغ من خطبة الرجال، فعن جابر بن عبد الله قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قام يوم الفطر فصلى فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم خطب الناس، فلما فرغ نبي الله صلى الله عليه وسلم نزل، فأتى النساء فذكرهن ووعظهن وهو يتوكأ على يد بلال[١] الحديث.

١٥– يُسن أن تقرأ بـ ق، والقرآن المجيد، واقتربت الساعة في العيدين، عن عبيد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما سأل أبا واقد الليثي ما كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأضحى والفطر، فقال: كان يقرأ فيهما بـ ق والقرآن المجيد، واقتربت الساعة، وانشق القمر.[٢]

قال النووي: قال العلماء: "والحكمة في قراءتهما لما اشتملتا عليه من الإخبار بالبعث والإخبار عن القرون الماضية، وإهلاك المكذبين وتشبيه بروز الناس للعيد ببروزهم للبعث وخروجهم من الأجداث كأنهم جراد منتشر، والله أعلم.[٣]

١٦– يباح ضرب الدف في يوم العيد لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ أبوبكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث قالت وليستا بمغنيتين، فقال أبوبكر: أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك يوم عيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر! إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا.[٤]

والغناء الذي لا يهيّج النفوس على الشر، ولا يحمل على البطالة والقبح، بل يحض على الشجاعة والظهور والغلبة مباح في الإسلام. قال النووي: واختلف العلماء في الغناء، فأباحه جماعة من أهل الحجاز وهي رواية عن مالك، وحرّمه أبو حنيفة وأهل العراق، ومذهب الشافعي كراهته، وهو المشهور من مذهب مالك، واحتج المجوزون بهذا الحديث، وأجاب الآخرون بأن هذا الغناء إنما كان في الشجاعة والقتل والحذق في القتال ونحو ذلك مما لا مفسدة فيه بخلاف الغناء المشتمل على ما يهيج النفوس على الشر ويحملها على البطالة والقبح.

---

[١] رواه مسلم.
[٢] رواه مسلم في الصحيح، كتاب صلاة العيدين.
[٣] شرح صحيح مسلم ٢٩١/١.
[٤] رواه مسلم في الصحيح، كتاب صلاة العيدين.

قال القاضي: إنما كان غناؤهما بما هو من أشعار الحرب والمفاخرة بالشجاعة والظهور والغلبة، وهذا لا يهيج الجواري على شر، وإنشادهما كذلك من الغناء المختلف فيه، وإنما هو رفع الصوت بالإنشاد، ولهذا قالت: "وليستا بمغنيتين" أي ليستا ممن يغنّي بعادة المغنيات من التشويق والهوى والتعريض بالفواحش والتشبيب بأهل الجمال وما يحرك النفوس ويبعث الهوى والغزل، كما قيل: "الغناء رقية الزنا"، وليستا أيضا ممن اشتهر وعرف بإحسان الغناء الذي فيه تمطيط وتكسير وعمل يحرك الساكن ويبعث الكامن ولا ممن اتخذ ذلك صنعة وكسبا، والعرب تسمي الإنشاد غناء وليس من الغناء المختلف فيه بل هو مباح، وقد استجازت الصحابة غناء العرب الذي هو مجرد الإنشاد والترنم، وأجازوا الحداء، وفعلوه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا كله إباحة مثل هذا وما في معناه، وهذا ومثله ليس بحرام ولا يخرج الشاهد.[١]

١٧– ومن سنن العيدين أن يكبر في الركعة الأولى سبع تكبيرات، وفي الركعة الثانية خمسا، فعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر في الفطر والأضحى، في الأولى سبع تكبيرات، وفي الثانية خمسا.[٢]

وأخرج مالك في الموطأ عن نافع مولى ابن عمر قال: "شهدت الأضحى والفطر مع أبي هريرة فكبّر في الأولى سبع تكبيرات قبل القراءة، وفي الآخر خمسا قبل القراءة" قال مالك: وهو الأمر عندنا.

وأخرج البيهقي في المعرفة بإسناده إلى الشافعي أخبرنا إبراهيم بن محمد حدثني إسحاق بن عبد الله عن عثمان بن عروة عن أبيه أن أبا أيوب وزيد بن ثابت أمره أن يكبر في صلاة العيدين سبعا وخمسا.

وهذه الآثار كلها توافق مذهب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم من الأئمة، وجاءت فيه الأحاديث المرفوعة أيضا بالإضافة إلى ما تقدمت.

---

[١] شرح صحيح مسلم ٢٩١/١.
[٢] رواه أبو داود (٢٤٩، باب التكبير في العيدين: ١١٣٧)

فمنها ما أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو ابن عوف المزني عن أبيه عن جده عمرو بن عوف المزني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر في العيدين في الأولى سبعا قبل القراءة وفي الآخرة خمسا قبل القراءة، قال الترمذي: حديث حسن وهو أحسن شيء روي في هذا الباب.

وقال في علله الكبرى: سألت محمدا عن هذا الحديث فقال: ليس شيء أصح منه وبه أقول. انتهى.[1]

ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا عن قوله ولا عن فعله أنه رفع يديه في تكبيرات العيدين كما قال العظيم آبادي: "وأما رفع اليدين في تكبيرات العيدين فلم يثبت في حديث صحيح مرفوع، وإنما جاء في ذلك أثر".[2]

١٨–ومن سنن العيدين أن يذهب إلى صلاة العيد في طريق ويرجع في طريق آخر لحديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم العيد في طريق ثم رجع في طريق آخر.[3]

١٩–إن صلاة العيد تصلى في اليوم الثاني إن لم يتبين العيد إلا بعد خروج وقت صلاته، فعن أبي عمير بن أنس عن عمومة له من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن ركبا جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشهدون أنهم رأوا الهلال بالأمس، فأمرهم أن يفطروا وإذا أصبحوا يغدوا إلى مصلاهم.[4]

وأخرج أحمد في مسنده بلفظ "غم علينا هلال شوال فأصبحنا صياما، فجاء ركب من آخر النهار فشهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم رأوا الهلال بالأمس فأمر الناس أن يفطروا من يومهم وأن يخرجوا لعيدهم من الغد".[5]

(يتبع)

***

[1] عون المعبود ٤/١١، ١٢.
[2] عود المعبود ٤/١٤.
[3] رواه أبو داود في السنن: ٢٥٤، باب الخروج إلى العيدين في طريق، ويرجع في طريق، رقم (١١٥٦) وصححه الألباني في سنن أبي داود.
[4] رواه أبو داود في السنن: ٢٥٥، باب إذا لم يخرج الإمام للعيد من يومه، ويخرج من الغد، رقم (١١٥٧) وصححه الألباني في سنن أبي داود.
[5] عون المعبود ٤/١٨.

الأدب العربي

المتنبي
مالئ الدّنيا وشاغل النّاس

(٥)

وسيم المحمدي / المدينة المنورة

الخصائص الفنية لشعر المتنبي

حقّق المتنبي لشعره الجودة الفنية؛ وذلك لقوة موهبته وحرصه على إجادة فنه، ولما أنه كان يتوجه بشعره إلى الأمراء، وينشده في مجالس تعجّ بالنقاد والأدباء، ومن خصائص شعره الفنية ما يأتي:

أولا: الشكل:

- الألفاظ والتراكيب: يغلب على شعر المتنبي سهولة الألفاظ، وميلها إلى الوضوح، وبُعدها عن الحوشي والغريب عموما، كما تتسم بالدقة في أداء المعنى، والإيحاء بمعان أخر غير المعاني الأصلية.

وقد يوجد عند المتنبي استخدام بعض الألفاظ الغريبة، والتكرار منها؛ ولعل ذلك راجع إلى مدارسته الشعر القديم، وما كان يتمتع به من ثقافة لغوية عميقة، ثم إلى حياته في البادية عدة سنوات، ومن ذلك الغريب: "اليَرْمَعُ" و"الاتبشاك"، و"الجرشي"، وغيرها[١]. كما يظهر في شعره بعض الشواذ النحوية والصرفية والتكرار المعيب في بعض الألفاظ.

ويتميّز المتنبي في شعره باستعمال ألفاظ الغزل في مخاطبة الممدوح، كقوله[٢]:

مالي أكتّم حبّا قد برى جسمي وتدّعي حبَّ سيف الدولة الأممُ

وممّا تفرّد به المتنبي عن غيره استخدام ألفاظ الغزل والنسيب في وصف الحرب، كقوله[٣]:

أعلى الممالك ما يُبنى على الأسلِ والطعن عند مُحبيهن كالقُبَلِ

---

(١) وأكبر مثال على هذا قصيدته التي هجا بها ضبّة التي مطلعها:

ما أنصف القوم ضبة وأمّه الطُّرطبّة

ففيها كثير من الألفاظ الغريبة.

(٢) ديوان المتنبي ص٣٢٢.

(٣) ديوان المتنبي ص٣٦٥.

وذلك لأن المتنبي إذا أحب شيئا اصطنع لغة الحبّ في التعبير عنه، وأن تلك الحروب التي وصفها حروب إسلامية، هام بها المتنبي وغنّى بذكراها.

ثم إن المتنبي كان مغرما بالحرب التي ينكشف عنها العزّ والمجد، فحبه لهذا النوع من الحرب جعله يصطنع لها لغة الحب.

وقد صرّح المتنبي بهذا النوع من الحب حيث قال[١]:

تقولين ما في النـاس مثلك عاشقٌ ... جِدِي مثل مـن أحببتـه تجدِي مثلي
محبٌّ كنى بالبيضِ عـن مُرهفاتِه ... وبالحسنِ في أجسامِهن عن الصّقلِ
وبالسُّمرِ عن سمرِ القنـا غيرَ أنني ... جناهــا أحبّائي وأطـرافُهــا رُسُلي
عدمتُ فؤادا لم تَبتْ فيــه فضلة ... لغير الثّنــايــا الغُرّ والحَدَقِ النُّجلِ
فما حَرمتْ حسناءُ بالهجرِ غبطةً ... ولا بلّغتْهـا مـن شكا الهجرَ بالوصلِ
ذريني أنلْ ما لا يُنــال مـــن العلا ... فصعبُ العلا في الصعبِ والسهلُ في السهلِ
تريدينَ لقيانَ المعالي رخيصـةً ... ولا بدّ دونَ الشّهــدِ مـــن إبَرِ النّحْلِ
حَذِرتِ علينا الموتَ والخيلُ تدّعي ... ولم تَعلمـي عـن أيِّ عاقبـةٍ تُجلي[٢]

وقد جمع المتنبي في تراكيبه بين الفصاحة والجزالة، وبين العذوبة والرشاقة، وتميز بالاختيار الجيد لتراكيبه، وهذا سائد غالبا في شعره، ويعد من سماته عموما في التراكيب.

وقد يظهر في شعره التعقيد اللفظي، كقوله[٣]:

أنّى يكون أبا البَرية آدم ... وأبوك والثقلان أنت محمدُ

فتقديره: أنى يكون آدمُ أبا البرية، وأبوك محمد، وأنت الثقلان.

كما يظهر أحيانا التعقيد المعنوي في شعره، كقوله[٤]:

وأظلم أهل الأرض من بات حاسدا ... لِمن بـات فـي نعمــائه يتقلّـب

فلا يُعلم الحاسد من المحسود لعدم تعين مرجع الضمير في "نعمائه"، كما لا يتعين صاحب الحال لـ"يتقلب" تعينا قطعيا.

- الصورة الفنية في شعر المتنبي: اعتمد المتنبي على التصوير في شعره، فظهرت فيه صور فنية متنوعة، كالتشبيه والاستعارة والكناية، وجملة من الصور المركبة التي يعرض بها بعض المشاهد.

---

(١) ديوان المتنبي ص٥٢٠.
(٢) ينظر: يتيمة الدهر ٢٣٩/١، ومع المتنبي ص٢١٥-٢٤٦، والخيال الشعري عند أبي الطيب المتنبي ص٦٥.
(٣) ديوان المتنبي ص٤٥.
(٤) ديوان المتنبي ص٤٦٦.

وقد برع المتنبي في تصويره، وأبدع أيّما إبداع، واستمدّ صورته من عدّة مظاهر، ومن صوره الفنية التي بناها على التشبيه، قوله(١):

وقفت ومافي الموت شك لواقف كأنك فـي جفـن الردى وهو نائمُ
تمـر بك الأبطال كلمـى هزيمـة ووجهك وضاح وثغـرك باسمُ
نثرتَهُمُ فـوق الأُحيـــدبِ نثـرةً كما نُثِـرتْ فوق العروسِ الدّراهِمُ

ومن استعاراته قوله(٢):

الدهرُ معتذرٌ والسيفُ منتظرٌ وأرضهم لكَ مُصطافٌ ومُرتبعُ

ومن الكناية قوله(٣):

أبنت الدهر عندي كلّ بنت فكيف وصلتِ أنتِ من الزِّحامِ

ومن صوره الكلية تصويره للجيش في قصيدة وصف حدث القلعة، وقد سبقت منها أبيات في غرض الوصف من أغراض شعره.

ومن سمات صور المتنبي التجديد، حيث جاء في شعره صور كثيرة جديدة، مثل قوله(٤):

رضوابك كالرّضا بالشيبِ قَصرا وقـد وخـطَ النّواحيَ والفُـروعَا

وقوله(٥):

رماني الدَّهـرُ بالأرزاءِ حتّى فؤادي فـي غشـاءٍ مـن نبالِ
فصرتُ إذا أصابتْني سهـامٌ تكسّرت النصالُ على النصالِ

وقد يتناول المتنبي بعض صور القدماء، فيجدد فيها أحسن تجديد، كقوله(٦):

فلم أر قبلي من مشى البحرُ نحوه ولا رجـلا قامت تُعـانِقُه الأسـدُ

ويظهر التجديد في مشي البحرِ، ومعانقةِ الأسد، أما أساس الصورة فهو موجود عند القدماء، فهم يشبهون الكريم بالبحر والشجاع بالأسد.

- الإيقاع الصوتي: أكسب المتنبي شعره حلية جمالية؛ وذلك بعنايته ببعض الألوان الصوتية التي تجعل للشعر تأثيرا يتمكّن به المعنى في نفس المتلقّي، وظهر ذلك فيما حقّقه

---

(١) ديوان المتنبي ص٣٧٧.
(٢) ديوان المتنبي ص٣٠٦.
(٣) ديوان المتنبي ص٤٧٧.
(٤) ديوان المتنبي ص٨٣.
(٥) ديوان المتنبي ص٢٥٤.
(٦) ديوان المتنبي ص١٨٦.

المتنبي في شعره من إيقاع صوتي خارجي يتمثّل في الوزن والقافية، حيث نجده يلتزم وزنا واحدا في القصيدة، وينوّع في أوزان قصائده الأخرى، وكذلك فعل مع القافية، فالقصيدة عنده تقتصر على رويّ واحد، ويتنوّع على تنوّع القصائد حسب الأغراض.

وكذلك فيما حقّقه لشعره من إيقاع صوتي داخلي يتمثّل في حسن اختياره للكلمات ذات الجرس الصوتي الجميل، ومما يظهر فيه ذلك الجناس، كما في قوله[1]:

منعّمـةٌ مُمنّعـةٌ رِداحٌ ... يكلّف لفظُها الطيرَ الوقوعَا

وكذلك الجناس مع التقسيم، كما في قوله[2]:

فنحن في جَذَلٍ والرُّوم في وَجَلِ ... والبحرُ في شغلٍ والبرُّ في خجلِ

إلا أنه لم يفرط في الجناس أو في استعماله.

ثانيا: المضمون:

- التجربة الشعرية: يتسم كثير من الشعراء برهافة الحس، وشفافة الروح، مما جعل نفسياتهم مرآة صافية لما يمرون به من أحداث وتجارب، واستجابة لهذه التجارب الشعورية ينطلقون معبّرين عن تلك العواطف التي اختلجت في نفوسهم بتجارب شعرية مصطنعة بتلك الصبغة.

وإذا تأملنا في أشعار أبي الطيب المتنبي نجد أنه نجح في ذلك نجاحا كبيرا، حيث تتضح التجربة الشعرية فيها بصدق، وتنبع من عميق نفسه، فهي ناتجة في الغالب الأغلب عن صدق، ونتيجة للإحساس الناتج عن التجارب التي مرّ بها الشاعر في أيام حياته، أو عن ثقافته التي اكتسبها فيها، أو مصوِّرة إحساسَه المرهف الذي جاء إبان حادثة معينة، فأحدث في نفسه شعورا وأحاسيس نفسية خاصة، فأتى بها في أشعاره وأعماله الشعرية، فأصبحت أشعاره مرآة لهذه الأحاسيس والشعور، وهذا معنى قول النقاد: "إن الشعراء يستقون تجاربهم الشعرية من داخلهم وخارجهم".

كذلك نجح المتنبي في الصياغة المناسبة التي أدت هذه التجربة في تعبير أدبي يخاطب العواطف والمشاعر، فجاءت صياغته مناسبة لهذه التجربة التي نقلها إلى الناس، فما كانت قصيرة عنها ولا طويلة عليها.

هذه هي السمة الغالبة في التجربة الشعرية على شعر المتنبي، وما شذّ عنها فهو قليل جدا أمام كمّ هائل من الشعر الجيد.

---

(١) ديوان المتنبي ص٨١.

(٢) ديوان المتنبي ص٣٣٠.

وتعدّ قصيدته في وصف حدث القلعة، ورثاء أبي شجاع، ورثاء جدته، وأغلب مدائح سيف الدولة، وقصيدته الأخيرة الدالية في بلاط عضد الدولة من النماذج الراقية الرائعة التي تظهر التجربة الشعرية فيها ناجحة كلّ النجاح في نتاجها عن صدق، وخروجها في صياغة مناسبة للتعبير الأدبي.

- المعاني: أبو الطيب المتنبي شاعرُ معانٍ، وقد وقف النقاد القدامى والمحدثون عند معانيه، فتحدّثوا عن سماتها، وأبرز سمات المعاني في شعره ما يلي:

١. الابتكار: للمتنبي قدرة عجيبة على ابتكار المعاني، وقد شهد له النقاد القدامى والمحدثون بهذه الميزة، ولكثرة اختراعاته، وبديع معانيه كان بعض الشعراء وبعض الكتاب يُغيرون على بعض تلك المعاني فيتناولونها في كتاباتهم وأشعارهم، كالسري الرّفاء، والصاحب بن عباد.

ومن معانيه المخترعة قوله(١):

رماني الدهـر بالأرزاء حتّى فــؤادي فـي غشـــاء من نبالِ
فصرت إذا أصابتني سهـام تكسّرت النصالُ على النصالِ

وقوله(٢):

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا ومـوج المنايا حولَها يتلاطَمُ
وكان بهامثلُ الجنونِ فأصبحتْ ومن جثثِ القتلى عليها تَمائِمُ

واختراع المتنبي للمعاني يسري في مختلف أغراضه الشعرية.

٢. الإتيان بالمعاني الموجزة أو القدرة على إيجاز المعنى، وذلك كما يظهر في قوله(٣):

فراقٌ ومن فارقتُ غيرُ مُذمَّمِ وأَمٌّ ومن يَمَّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ
ومامنزلُ اللذّاتِ عندي بمنزلٍ إذا لم أبجَّـلُ عنـده وأُكرَّمِ

حيث أبان عن غرضه في مدح سيف الدولة وإعلان وفائه له بعد مفارقته إياه، ومدح كافور وإعلانه عن أمله فيه بعد لقائه.

(١) ديوان المتنبي ص٢٥٤.
(٢) ديوان المتنبي ص٣٧٥.
(٣) ديوان المتنبي ص٤٥٦.

٣. التقليد: ظهرت سمة التقليد بالمعاني في شعر المتنبي وبخاصة في المرحلة الأولى من حياته، حيث كان يجنح إلى التقليد في مدحه وغزله ورثائه، وإن ظهرت له بعض مجالات التجديد.

ومن المعاني التي قلّد فيها غيره من الشعراء ما جاء في قوله[١]:

لكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ أقفرتِ أنتِ وهن منكِ أواهِلُ

فهو قريب من قول أبي تمام[٢]:

وقفتُ وأحشائي منازلُ للأسى به، وهو قفرٌ قد تَعَفّتْ منازلُهُ

٤. تكرار المعاني: عيب على المتنبي تكرار بعض المعاني في شعره، ومن ذلك قوله[٣]:

وأنت المرءُ تُمرضه الحشايا لِهمّته، وتشفيه الحروبُ

حيث كرّر معنى هذا البيت في قصيدته في وصف الحمى، إذ قال[٤]:

وما في طبّه أني جوادٌ أضرَّ بجسمه طولُ الجَمامِ

٥. الإفراط في المبالغة: ومما عيب على المتنبي إفراطه في المبالغة، حيث يأتي أحيانا بمعانٍ يستحيل تحقّقها في الواقع، كقوله في مدح عبد الله بن يحيي البحتري[٥]:

بمن أضربُ الأمثالَ أم من أقيسُه إليكَ وأهلُ الدّهرِ دونَكَ والدّهرُ

وقوله يرثي فاتكا الرومي[٦]:

والناس أنزلُ في زمانكَ مَنْزِلا من أن تعايشَهم وقدرُكَ أرفعُ

وقد يتجاوز المتنبي حدود الشريعة الإسلامية بإفراطه وغلوّه، كما في قوله في مدح سيف الدولة[٧]:

تجاوزتَ مقدارَ الشَّجاعةِ والنُّهى إلى قولِ قومٍ: أنتَ بالغيبِ عالِمُ

٦. غموض المعاني: الغموض سمة تظهر أحيانا في شعر المتنبي، إما لغرابة الألفاظ، أو لبعد المعنى، أو لاحتماله أكثر من دلالة، ومن الأخير قوله يمدح كافورا[٨]:

---

(١) ديوان المتنبي ص١٦٣.
(٢) ديوان أبي تمام ٣/٢١ مع شرح التبريزي.
(٣) ديوان المتنبي ص٣٥٤.
(٤) ديوان المتنبي ص٤٧٨.
(٥) ديوان المتنبي ص٥٨.
(٦) ديوان المتنبي ص٥٠٧.
(٧) ديوان المتنبي ص٣٧٨.
(٨) ديوان المتنبي ص٤٢٦.

وأظلم أهل الأرض من بات حاسدا		لِمَن بات في نعمائه يتقلّبُ

فالبيت يحتمل معنيين:

الأول: أن المنعَم عليه يَحسُدُ المُنعِم.

الثاني: أن المنعِم يحسُد المنعَم عليه.

كما يحتمل أن يكون "يتقلب" حالا لـ"مَن" في "من بات حاسدا"، أو أن يكون حالا لـ"من" في "من بات في نعمائه".

- العاطفة: تظهر العاطفة الصادقة في كثير من شعر المتنبي، وتتسم بالقوة والتنوع في أشعار كثيرة له، كما تكون ثابتة من بداية القصيدة إلى نهايتها، ومما يتسم من شعر المتنبي بصدق العاطفة وقوتها قوله في رثاء جدته[1]:

ألا لا أُري الأحداثَ حَمْدا وذمّا		فما بطشُها جهلا ولا كفُّها حلما

أحنّ إلى الكأس التي شربت بِها		وأهوى لِمثواها التراب وما ضمّا

بكيتُ عليها خيفةً في حياتِها		وذاق كلانا ثُكلَ صاحبه قِدْما

ولو قتل الهجر المُحِبّين كلَّهم		مضى بلدٌ باقٍ أجدّت له صُرْما

أتاها كتابِي بعد يأس وتَرحة		فماتت سرورا بِي فمتُّ بِها غمّا

حرام على قلبِي السرور فإنّنِي		أُعدُّ الذي ماتت به بعدها سُمّا

وكذلك قوله في رثاء صديقه أبي شجاع فاتك الرومي[2]:

الحزن يُقلق والتّجمّلُ يَرْدَعُ		والدّمع بينهما عَصِيٌّ طيِّعُ

يتنازعان دُموعَ عَيْنِ مُسَهَّدٍ		هذا يَجيءُ بِها وهذا يرجِعُ

النومُ بعد أبي شجاعٍ نافرٌ		والليل مُعْيٍ والكواكبُ ظُلَّعُ

إنّي لأجْبُن من فراق أحبّتِي		وتُحسُّ نفسِي بالحمام فأشْجَعُ

(يتبع)

***

(١) ديوان المتنبي ص١٥٩.

(٢) ديوان المتنبي ص٥٠٦.

ركن الطلاب

مكانة السنة في التشريع الإسلامي

حسن البناء عبد الغفور
السنة الثالثة للفضيلة
الجامعة السلفية، بنارس

الحمد لله الذي أتاح لي هذه الفرصة الذهبية التي أتممت فيها مقالي القصير حول موضوع يحمل في طيه أهمية قصوى في كل زمان بوجه عام وفي العصر الراهن—الذي تهب فيه على وجه السنة زوابع الروافض والإنكار—بوجه خاص، والصلاة والسلام على خير العباد الذي ما فتئ يحذر الناس يوم التناد. وعلى آله وصحبه الذين ساروا في نصرة دينه سيرا حثيثا وهم على السداد، أما بعد:

فإن السنة النبوية صنو القرآن وهي الينبوع الذي تنبجس منه سعادة البشرية جمعاء، وهي التي تمثل دورا بارزا في تبيين الكتاب للناس وهي التي لا يمكن أحدا—كائنا من كان—فهم القرآن إلا بها. فالذين ضربوا عنها صفحا واقتنعوا بالقرآن واقتصروا عليه وصاروا إليه في جميع أحكام الشريعة تعثروا في طريقهم التعثر كله، ثم ليعلم أن ما يقوله النبي عليه السلام ليس من تلقاء نفسه إنما هو وحي يوحيه الله تعالى إليه ويلقيه في روعه لقوله تعالى: {وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى}[١]، وقد ثبتت حجيتها بآيات كثيرة وأحاديث سردت بعضها في مقالتي هذه.

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أدب أمته بآداب لا تستقصى وأرشدهم إلى الخير والصلاح في حياتهم كلها حتى في الخراءة، قيل لسليمان الفارسي رضي الله عنه: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، قال: أجل، نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو ببول.. الخ[٢].

إني قمت في هذا المقال بوضع تقديم وسبعة مطالب وخاتمة، حاولت فيها الجمع بين جوانب الموضوع الهامة باختصار جدا، فإن كان هناك شيء يستحسن فمرده إلى الله تعالى وإن كان هناك شيء يغلط ويستهجن فأنا سببه، وبعد هذا الجهد المتواضع والجد المضني لو لم يتضح الموضوع فهو لضيق المجال وانتشار البال، الله أسأله أن يوزعنا أن نوقر السنة ونعزر

---

[١] سورة النجم: ٣—٤.
[٢] الترمذي، أبواب الطهارة، باب الاستنجاء بالحجارة، ص: ١٥، رقم الحديث: ١٦.

صاحبها عليه ينابيع منفجرة وغيوث منهملة من الصلاة والسلام، ونطبقها في حياتنا التطبيق كله ونتأدب بآدابها، آمين.

المطلب الأول في تعريف السنة:

السنة: الوجه لصقالته وملاسته، وقيل: هو حر الوجه، وقيل: دائرته، وقيل: الصورة، وقيل: الجبهة والجبينان، وكلها من الصقالة والأصالة، وسنة الله: أحكامه وأمره ونهيه، هذه عن اللحياني. والسنة: السيرة حسنة كانت أو قبيحة، والسنة في الحديث الطريقة والسيرة.[١]، وقال صاحب القاموس المحيط مثله.[٢] سنة ج سنن: الطريقة: يتبعون سنن آبائهم.[٣] السنة في اللغة: هي الطريقة: سواء كانت محمودة أو سيئة.[٤] السنة الطريقة، وفي الحديث: "فمن رغب عن سنتي فليس مني".[٥]

المطلب الثاني في تعريف السنة اصطلاحا:

عند علماء الأصول: أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام وأفعاله وتقريره. وعند الفقهاء: الطريقة المسلوكة في غير وجوب أو لزوم. وعند جمهور علماء الحديث: ما يقابل البدعة، فيقال: فلان على السنة، إذا كان عمله وتصرفاته الدينية وفق ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن اطلاقاتهم عندهم: أنها قد تشمل صفاته الحميدة، وأخلاقه الكريمة، وسيرته العطرة، وكذلك ما كان عليه السلام معروفا به بين قومه، حتى قبل مبعثه من الصدق والأمانة لأن كل ذلك يستفاد منه في إثبات نبوته عليه السلام ورسالته.[٦] وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وندب إليه قولا وفعلا مما لم ينطق به الكتاب العزيز.[٧] وذكر الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي في تعريفها مثلما ذكر صاحب "منزلة السنة".[٨]

المطلب الثالث في منزلة السنة:

---

[١] لسان العرب (مادة: س ن ن)
[٢] القاموس المحيط (مادة: س ن ن)
[٣] المنجد في اللغة العربية المعاصرة (مادة: س ن ن)
[٤] منزلة السنة في التشريع الإسلامي.
[٥] القاموس الفقهي لغة واصطلاحا.
[٦] منزلة السنة في التشريع الإسلامي ص ١٦-١٧.
[٧] لسان العرب (مادة س ن ن)
[٨] التمسك بالسنة في العقائد والأحكام ص ٢٦-٢٨.

المنزلة هي المكانة والمرتبة، والمراد بها هنا: المرتبة التي تشغلها السنة النبوية في باب التشريع، حيث لا يستغنى عنها بوجه من الوجوه، إما مستقلة أو مبينة للكتاب، إذ لابد من عرض كثير من آيات الأحكام عليها، لتفسر المجمل، وتقيد المطلق، وتخص العام، إلى غير ذلك من الأغراض التي تحققها السنة، والدور الذي تمثله.[1] وقال الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد – حفظه الله – موضحا منزلتها: أما السنة فهي مبينة للقرآن، ومفصلة لمجمله، قال تعالى: {بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون}[2]، قال ابن جرير: وأنزلنا إليك يا محمد هذا القرآن تذكيرا للناس وعظة لهم لتعرفهم ما أنزل إليهم من ذلك، عن مجاهد في قوله تعالى: {ولعلهم يتفكرون}: يطيعون.[3]، وكذلك في الدر المنثور إلا أن فيه في قوله: {لتبين للناس ما نزل إليهم}: أرسله الله إليهم ليتخذ بذلك الحجة عليهم.[4] وقال الشيخ صلاح الدين: إن السنة أيضا وحي من الله، واستدل على ما قال بقوله تعالى ذكره: {وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى}[5]، قال ابن جرير – رحمه الله – وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه، ما هذا القرآن إلا وحي من الله يوحيه إليه.[6] ثم قال الشيخ صلاح الدين – حفظه الله -: وقد قيض الله تعالى علماء جهابذة، ورجالا أكفاء لحفظ السنة من الدس والتحريف وتمييز طيبها من الخبيث، وتدوينها بكل دقة وأمانة ووعي وإخلاص تدوينا لا يوجد له نظير في تاريخ الأديان، وبهذا ثبت فضل السنة والكتاب على الصحف السماوية الأخرى.[7]

المطلب الرابع في حجيتها ودرجتها:

قال صاحب التحفة في حجيتها: هو تلو كلام الله العلام، وثاني أدلة الأحكام، فإن علوم القرآن وعقائد الإسلام بأسرها، وأحكام الشريعة المطهرة بتمامها، وقواعد الطريقة الحنيفية بحذافيرها، وكذا الكشفيات والعقليات بنقيرها وقطميرها، تتوقف على بيانه صلى الله عليه

---

[1] منزلة السنة في التشريع الإسلامي ص١٤.
[2] زوابع في وجه السنة قديما وحديثا، ص٣٧، والآية من سورة النحل: ٤٤.
[3] جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٣–١٤ص ١٣٣.
[4] الدر المنثور ج٤ص ٢٢٢–٢٢٣.
[5] زوابع في وجه السنة قديما وحديثا ص ٣٧، والآية من سورة النجم: ٤٣.
[6] جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢٧–٢٨.
[7] زوابع في وجه السنة قديما وحديثا ص ٣٧.

وسلم، فإنها ما لم توزن بهذا القسطاس المستقيم، ولم تضرب على ذلك المعيار القديم، لا يعتمد عليها ولا يصار إليها.[١]

والآيات الدالة على حجيتها أكثر من أن تسعها هذه الصفحة، فأذكر منها فيما يلي مع التفسير اليسير: قال تعالى: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}[٢] عن الحسن رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتيهم الغنائم وينهاهم عن الغلول.[٣] ونقل ابن جرير عن الحسن رضي الله عنه نحوه.[٤] ونقل السيوطي عنه رضي الله عنه: قال: من الفيئ[٥]، وقال صاحب الكشاف: من غنيمة أو فئي.[٦] وقال المراغي من الفيئ وغيره.[٧] ونقل صاحب الدر عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله تعالى: {وما آتاكم} قال: من طاعتي وأمري {وما نهاكم عنه} قال: من معصيتي.[٨] وقال المراغي نحوه[٩]، والذي يشهد لهذا المعنى العام ما نقله صاحب الدر المنثور من طريق ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ألم يقل الله: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة .... الأحزاب: ٣٦} وقال: فإني أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الدباء، والحنتم، والنقير والمزفت، وكذلك ما نقله عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما يشهدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: {وما آتاكم ....}، وكذلك ما نقله عن علقمة رضي الله عنه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات لخلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، فجاءت إليه فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، قال: ومالي لا ألعن ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله، قالت:

---

[١] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ج١ص١١.

[٢] سورة الحشر: ٧.

[٣] الدر المنثور في التفسير المأثور ج٦ص٢٨٧.

[٤] جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢٧ص٤٨.

[٥] جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢٧—٢٨ص٤٨.

[٦] الكشاف ج٤ص٥٠٣.

[٧] تفسير المراغي ج١٠ص٣٤—٣٥.

[٨] جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢٧ص٤٨.

[٩] تفسير المراغي ج١٠ص٣٤—٣٥.

لقد قرأت ما بين الدفتين فما وجدت فيه شيئا من هذا، قال: لئن كنت قرأته لقد وجدته، أما قرأت {وما آتاكم....} قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه.[1]

وقال تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم}[2] عن الحسن قال: قال قوم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد! إنا نحب ربنا، فأنزلت، فجعل اتباع نبيه علما لحبه، وعذاب من خالفه، وعن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رغب عن سنتي فليس مني" ثم تلا الآية، وعن أبي الدرداء في قوله تعالى: {فاتبعوني} أي على البر والتقوى، والتواضع وذلة النفس.[3]

وقال جل شأنه: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}[4] {يحكموك}: أي يجعلوك حكما. {فيما شجر بينهم} أي: اختلف واختلط من أمورهم والتبس عليهم حكمه، قال مجاهد والشعبي: حرجا أي: شكا وقال غيرهما: ضيقا، وقال الضحاك: اثما يأثمون بإنكارهم ما قضيت. {ويسلموا تسليما} أي: ينقادوا الأمرك انقيادا.[5] والآيات في هذا الباب كثيرة.

أما ما يقال من أن السنة ثاني أدلة الأحكام فليس معناه أنها في الدرجة الثانية في التشريع الإسلامي في التحليل والتحريم. إنما معناه أن السنة تمثل الدرجة الثانية في أدلة الأحكام من حيث الثبوت فإنها لم تثبت برمتها بالتواتر بخلاف القرآن. ومن هنا فما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس في الكتاب فهو كما حرمه الله تعالى، أشار إلى ذلك صاحب "منزلة السنة" وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله".[6]

المطلب الخامس في وجوب الانقياد لها في حياة صاحبها وبعد مماته عليه ألف ألف صلاة وسلام:

قال الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد حفظه الله: نظرة عابرة في القرآن الكريم تقطع بوجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.[7] وقال الدكتور مصطفى السباعي بعد أن أورد بعض الآيات التي أسلفتها: وأخبر أنه أوتي القرآن والحكمة ليعلم الناس أحكام دينهم فقال:

---

[1] الدر المنثور ج٦ ص٢٨٧.

[2] آل عمران: ٣١.

[3] الدر المنثور ج٢ ص٣٠.

[4] النساء: ٦٥.

[5] تفسير البغوي ج١ ص٥٥٨.

[6] جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم، صححه الألباني رقم الحديث: ٢٦٦٤ ص٦٢

[7] زوابع في وجه السنة قديما وحديثا ص٣٩

{لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين}[١] وقد ذهب جمهور العلماء والمحققين إلى أن الحكمة شيء آخر غير القرآن ويعبر العلماء عنه بالسنة، ولا يصح أن تكون شيئا غير السنة، لأنها في معرض المنة من الله علينا بتعليمنا إياها، ولا يمن إلا بما هو حق وصواب، فتكون الحكمة واجبة الاتباع كالقرآن، ولم يوجب علينا إلا اتباع القرآن والرسول، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه"[٢]، وكما وجب الاتباع على الصحابة في حياته عليه الصلاة والسلام، وجب عليهم وعلى من بعدهم من المسلمين اتباع سنته بعد وفاته، لأن النصوص التي أوجبت طاعته عامة لم تقيد بزمن حياته، ولأن العلة جامعة بينهم وبين من بعدهم، ولأن العلة أيضا جامعة بين حياته ووفاته.[٣]

المطلب السادس في اهتمام الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بها وتلقيهم لها بالقبول:

كان صلى الله عليه وسلم محور حياتهم الدينية والدنيوية منذ أن هداهم الله إلى الإسلام، ولقد بلغ من حرصهم على تتبعهم لأقواله وأعماله أن كان بعضهم يتناوبون ملازمة مجلسه يوما بعد يوم، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "كنت أنا وجار لي نتناوب النزول على رسول الله، ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم، وإذا نزل فعل مثل ذلك، بل كان الصحابي يقطع المسافات الواسعة ليسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حكم شرعي، فعن عقبة بن عامر أنه أخبرته امرأة بأنها أرضعته هو وزوجه فركب من فوره —وكان بمكة— قاصدا المدينة، حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن حكم الله في ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: "كيف وقد قيل"[٤]، وكتب الحديث مملوءة بأمثال هاتين الواقعتين غير أن ضيق المقام لا يسمح لي بالإكثار.

المطلب السابع في تعريف الأدب لغة واصطلاحا:

أدب ج آداب: تهذيب، حسن الأخلاق، ممارسة قواعد السلوك المقررة في المجتمع، معرفة قواعد التهذيب وأصول التصرف الاجتماعي والأخلاقي المقررة والمتعارف عليها، وممارستها، وتطبيقها ومعرفة قواعد التعاطي مع الناس ومعاشرتهم بلياقة

---

[١] آل عمران: ١٦٤.

[٢] أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة ج٥ ص١٠، رقم الحديث: ٤٦٠٤، وصححه الألباني.

[٣] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص٦٣ و٦٧.

[٤] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص٦٩—٧٠ بتصرف.

ولباقة.[١] ولا يخرج المعنى الاصطلاحي كثيرا عند الفقهاء عن المعنى اللغوي، قال الكمال بن الهمام: الأدب: الخصال الحميدة.[٢]

وفي ذخيرة العقبى: قال أبو زيد: الأدب يقع على كل رياضة محمودة، يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل.[٣] الأدب استعمال ما يحمد قولا وفعلا، وعبر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل: الوقوف مع المستحسنات، وقيل: هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك. وقيل: إنه مأخوذ من المأدبة وهي الدعوة إلى الطعام، سمي بذلك لأنه يدعى إليه.[٤]

أما الآداب في سنة النبي صلى الله عليه وسلم فحياته كلها حافلة بها، ووردت في هذا الباب أحاديث كثيرة أذكر بعضها فيما يلي:

عن سلمة ابن الأكوع رضي الله عنه أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال: "كل بيمينك" قال: لا أستطيع، قال: "لا استطعت" ما منعه إلا الكبر، فما رفعها إلى فيه.[٥]

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل، فلما حُدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأنهم قال: "إن هذه النار عدو لكم، فإذا نمتم فأطفئوها عنكم"[٦].

وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: "إنكم لا تدرون في أيها البركة"[٧]

وعن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخذف وقال: "إنه لا يقتل الصيد، ولا ينكأ العدو، وإنه يفقأ العين، ويكسر السن".[٨]

وهناك أحاديث كثيرة مليئة بالآداب المرتبطة بمكارم الأخلاق وكل شيء يحفظ الإنسان ويصلح حياته، فيتحتم علينا — إتباع النبي الكريم عليه السلام — أن نطبقها في واقع

---

[١] المنجد في اللغة العربية المعاصرة (مادة أدب) وكذا في القاموس الفقهي والمعجم الوسيط.

[٢] القاموس الفقهي (مادة أدب)

[٣] ذخيرة العقبى في شرح المجتبى ج٣٩—٤٠ص١٩٠.

[٤] فتح الباري ج١٠ص٤٩١.

[٥] صحيح مسلم مع شرح النووي ج٧ص ١٩٧ رقم: ٢٠٢١، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشرب وأحكامهما.

[٦] صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الاستيذان، باب لا تترك النار في البيت عند النوم ج١١ص١٠٢، رقم الحديث: ٦٢٩٤.

[٧] صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة، ص١٠٤٠، رقم الحديث: ٥٢٠٠.

[٨] صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب النهي عن الحذف، رقم الحديث: ٦٢٢٥.

الحياة، ونتأدب بها حتى نستطيع أن نعيش عيشة يبتسم لها الدهر، ومن المقلق أني لم أقدر على سرد عديد من تلك الأحاديث.

الخاتمة في أن المحافظة على الآداب مأمور بها مطلوبة:

إن كل فرد سواء أكان مسلما أو ممن لا عهد له بالإسلام يشتهي أن يحسن منزله — بعد الممات — مستقرا ومقاما، بيد أن الرجل المسلم يؤمن بمنزل يقال له "الجنة" أما غيره فلا جنة في مخيلته، ومع ذلك يود أن ينزل منزلا مريحا في الحياة التي بعد حياته هذه. والحصول على هذا المنزل — بالنسبة إلى أهل الإسلام — إنما يمكن باتباع الله جل وعلا في كل أمره ونهيه وشرط للاعتداد باتباعه تعالى اتباع نبيه عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام في أوامره وزواجره كلها مما يتعلق بالعبادات والأحكام والمعاملات وغيرها، ومنها الآداب، وهي بالجملة مكارم الأخلاق في جميع مجالات الحياة، وتهذيب النفس وتثقيفها، وهذا هو الغرض الرئيسي الذي بعث النبي صلى الله عليه وسلم من أجله فقال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[1] فمن اتبع النبي عليه السلام فهو ممدوح ومن خالفه عليه السلام فهو مذموم، وقد ضرب النبي عليه السلام مثلا يسترعي الأهمية، قال: "إن مثلي ومثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا. وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه من دين الله، ونفعه بما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به".[2] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى"، قيل: ومن يأبى؟ يا رسول الله! قال: "من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى".[3] هذه الأحاديث وأمثالها وكذلك الآيات التي أسلفتها تقطع بوجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل أمر أو نهي سواء أكان من الآداب أم من العبادات.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

[1] سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/١١٢، رقم الحديث: ٤٥.

[2] مسلم مع شرح النووي ج٨ ص٤٩.

[3] البخاري مع الفتح، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله عليه السلام ج١٣ ص٣٠٦، رقم الحديث: ٧٢٨٠.

من أخبار الجامعة السلفية

بداية العام الدراسي الجديد واختبارات القبول في الجامعة:

بدأ العام الدراسي الجديد بالجامعة السلفية والمدارس التابعة لها من ٢٩/ رجب ١٤٣٢هـ = ٢/ يوليو ٢٠١١م، وعقدت اختبارات القبول في يومي الأحد والاثنين: ٣٠/ رجب، وغرة شعبان ١٤٣٢هـ = ٣ - ٤/ يوليو ٢٠١١م، وبعد إكمال الإجراءات المتعلقة بالقبول والتسجيل بدأت الدراسة النظامية من يوم السبت ٦/شعبان ١٤٣٢هـ = ٩/يوليو ٢٠١١م.

وأعلنت إدارة الجامعة أن إجازة رمضان المبارك والعيد تبدأ بنهاية دوام يوم الخميس، الخامس والعشرين من شهر شعبان ١٤٣٢هـ، الثامن والعشرين من شهر يوليو ٢٠١١، وتنتهي في الخامس من شهر شوال، حيث تبدأ الدراسة بعد إجازة العيد في السادس من شوال ١٤٣٢هـ بمشيئة الله تعالى.

حفل الترحيب بطلبة العام الدراسي الجديد:

تم عقد حفل الترحيب بطلبة العام الدراسي الجديد في الساعة الحادية عشرة صباحا من يوم الأربعاء ١٠/ شعبان ١٤٣٢هـ = ١٣/ يوليو ٢٠١١م في قاعة المحاضرات بالجامعة. وذلك برئاسة فضيلة رئيس الجامعة الدكتور جاويد أعظم عبد العظيم، حفظه الله تعالى.

بدئ الحفل بآي من الذكر الحكيم تلاها الطالب محمد مرتضى بن عبد القيوم، من السنة الثالثة للفضيلة، بعد ذلك ألقى فضيلة الشيخ محمد مستقيم محمد سعيد السلفي، المدرس بالجامعة السلفية، وشيخ الجامعة الأسبق كلمة افتتحها بقوله تعالى: {قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا — إلى آخر الآيات} وحث الطلبة على الالتزام بآداب طلب العلم كما هو مستفاد من هذه الآيات المباركات.

ثم كلف كاتب هذه السطور بالتحدث في الحفل، فألقى الضوء على القوانين والأنظمة التي وضعها الجامعة للطلاب الدارسين فيها، وذكر أن هذه الأنظمة ما هي إلا جزء من الآداب الإسلامية التي يحث عليها ديننا الحنيف، مع العلم بأن لكل مؤسسة تعليمية وغير تعليمية ضوابط وأنظمة يجب التقيد بها لكل ملتحق بها، كما حث الطلاب على الشعور بمسؤوليتهم

تجاه هذا العلم، وضرورة اتخاذ كافة الوسائل والأساليب لتزويد أنفسهم بالعلوم والمعارف، وتقوية ملكاتهم وإعداد أنفسهم لتحمل أعباء المسؤوليات المختلفة في مستقبل حياتهم. وحذرهم من التهاون في الواجبات والفرائض الدينية، وارتكاب المعاصي والمنهيات، وحثهم أن يكونوا أنموذجا للإنسان المسلم الصالح أينما كانوا.

ثم تفضل فضيلة الأمين العام للجامعة الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد، وألقى كلمته، وتكلم عن أهمية العلم في حياة الإنسان وفي المجتمع الإنساني العام، وتحدث عن نظرة الطوائف المختلفة إلى الحياة والكون، ثم نظرة الإسلام إلى ذلك، وأن الإنسان لم يخلق عبثا، وإنما خلق لمقصد عظيم، ألا وهو عبادة الله جل وعلا {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} وحث الطلاب على العمل بمقتضى القوانين والأنظمة التي وضعت لهم، والاجتناب عن التعرض للمساءلة والعقات.

ولفت الأمين العام انتباه الطلاب إلى أهمية النصح والتوجيه والإرشاد مستدلا بالحديث النبوي الشريف (الدين النصيحة ....) ونصحهم باغتنام الفرص والأوقات في تحصيل العلم والتزود بالمعرفة.

ثم تكلم سعادة الأستاذ محمد أرشد الوزيري، نائب الأمين العام للجامعة، عن ضرورة إيجاد صلة قوية بين الطلبة والمدرسين، وحث الطلاب على عدم التردد في الاتصال بأساتذتهم في كل ما يحتاجون إليه في حياتهم التعليمية والتربوية، ونبه على أن العلم والتعلم ليس منحصرا في الكتب والفصول الدراسية، بل إن دائرته أوسع من ذلك بكثير، كما نبه على أن المقصود ليس هو العلم فقط، وإنما المقصود أن يظهر الطالب كمواطن صالح وإنسان صالح، ولا يكون الإنسان كذلك إلا إذا كان مسلما حقا.

وقد تكلم في هذا الحفل فضيلة الشيخ محمد نعيم الدين المدني شيخ الجامعة السلفية أيضا، فحث الطلبة على الرجوع إلى أساتذتهم في كل ما يهمهم من أمور التعليم والتعلم، وأن المدرسين مستعدون للتواصل مع أبناءهم الطلبة في كل وقت، في وقت الدوام الرسمي وخارجه.

ثم تفضل الدكتور جاويد أعظم عبد العظيم، رئيس الجامعة، بإلقاء كلمته الضافية، فقدم —أولا- الشكر والامتنان إلى جميع الحاضرين من المسؤولين والمدرسين والطلبة، على تفضلهم بالحضور في الحفل، وحسن استماعهم إليه، ثم ألقى بعض الضوء على مكانة الجامعة السلفية بين المدارس والجامعات الإسلامية في الهند، وعلى خصائص هذه الجامعة وميزاتها، وعلى تواجد المدرسين الأفاضل والمسؤولين الساهرين فيها، كما لفت انتباه الطلاب على ضرورة الالتزام بالأنظمة الخاصة بهم وعدم التهاون في ذلك، وأكد على أن المسؤولين لن يترددوا في تنفيذ العقوبات المناسبة عند صدور المخالفة من الطلاب، وقد أشار فضيلة رئيس الجامعة إلى عدد من القوانين المتعلقة بالطلاب، وأكد على ضرورة التقيد بها، والاجتناب عن مخالفتها، وقد حث فضيلته أيضا على الاستفادة من المكتبة المركزية للجامعة، وقضاء جزء كبير من الأوقات فيها.

وقد فتح المجال أمام الطلبة الحضور أيضا لتقديم تساؤلاتهم واقتراحاتهم بهذا الخصوص، وقد أجاب على أسئلتهم بعض المدرسين الموجودين في القاعة.

وبذلك وصل الحفل إلى الختام، وقد شارك فيه – إلى جانب المسؤولين والمدرسين والطلبة—عدد من سكان مدينة بنارس وخارجها ممن لهم عناية واهتمام بالجامعة ومشاريعها التعليمية والتربوية. وقد قام بإدارة هذا الحفل فضيلة الشيخ عبد الوهاب الحجازي، حفظه الله، عضو هيئة التدريس بالجامعة ورئيس تحرير مجلة محدث.

(الأعظمي)

***